دراسات ماركسية (9)

سلامة كيلة يقدم

إفلاس الأممية الثانية

لينين

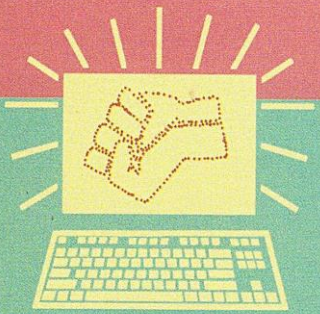

رؤى للنشر والتوزيع

كراسات ماركسية (9)

إفـــلاس الأممية الثانية

لينيـن

رقم الإيداع: 2015/3156

ISBN: 978-977-751-108-7

جميع الحقوق محفوظة للناشر

روافد للنشر والتوزيع

تليفون : 0122-2235071 2+

rwafead@gmail.com

www.rwafead.com

مقدمة

ربما نحتاج إلى فهم سبب إفلاس أحزاب "عريقة" على ضوء موقفها من نشوب الحرب العالمية الأولى، حيث أن الأحداث الكبيرة تُظهر القوى على حقيقتها، وتوضّح الاصطفافات بشكل كامل. هذا ما يقوله لينين عن الأحزاب الاشتراكية بُعيد نشوب تلك الحرب، حيث يقول أنه "من المعترف به منذ زمن بعيد أن الحروب، رغم ما تجره من ويلات وكوارث وفظائع، إنما تعود بالنفع الكبير إلى هذا الحد أو ذاك، بمعنى أنها تكشف وتفضح وتحطم بلا رحمة ولا هوادة، الكثير من المتعفن، البالي، المتحجر في المؤسسات البشرية"، ويكمل أن هذه الحرب "بينت للطبقة المتقدمة في البلدان المتمدنة أن دملاً قائحاً قبيحاً قد استوى في أحزابها، وأن نتانة جيفية لا تطاق تتصاعد من كل مكان".

هذا هو حكمه على الأممية الثانية التي قال أنها أفلست. والكتاب يشرح كيف أفلست من خلال سؤال الموقف من الحرب، حيث وقع كل منها خلف برجوازيته ضد الآخر، وفتح للطبقات العاملة أن تتقاتل على أساس مبدا "الدفاع عن الوطن"، دون تلمّس طبيعة الحرب، وهدفها، وتحديد من

تخدم. لقد تصاعدت "الوطنية" في غير مكانها، وباتت اللاحم الذي فرض التحاق الأحزاب الاشتراكية ببرجوازيتها. وبالتالي سقطت الأممية، وأصلاً سقطت مصلحة العمال في حضن البرجوازية، كي تصبح وقوداً لها في حرب هي ليست حربها. هي حرب إمبريالية من أجل تقاسم العالم، حرب بين برجوازيات يريد كل منها السيطرة الأكبر على المستعمرات.

ولينين يفكك الجذر الطبقي الذي أفضى إلى ذلك، وكيف أن هذه الحالة ارتبطت بمسار تيار انتهازي كان يخترق تلك الأحزاب، ويسيطر عليها. خلال كل ذلك وضّع الموقف من الإمبريالية، ومن الثورة، وكيف أن على العمال ألا ينساقوا وراء مصالح ضيقة لبرجوازية تريد النهب. وهو هنا يكشف الأساس النظري الذي يحكم تلك الانتهازية، التي عملت على تكييف الماركسية لخدمة مصالح برجوازية صغيرة تريد التفاهم مع البرجوازية وليس الصراع معها.

ماذا يفيد الآن؟

أليس الوضع مشابهاً بصيغة ما؟ خصوصاً بعد الثورات التي كشفت كل "التعفن والنتانة" في أحزاب لها تاريخ طويل؟ فالثورات حدث كبير كذلك، وهو كاشف لكل البنى، لهذا بدى ما كان ضعفاً في القوى التي تقول أنها ماركسية عجزاً

مستديماً فرض التعلق بـ "الدولة"، والحديث المجرَّد عن الإمبريالية، والميل إلى الاستقرار، في وضع يشهد تراكم الاحتقان وتصاعد الحراك، في وضع لا يمكن إلا أن نقول أنه ثوري.

لكن تبقى قيمة لينين في كيفية استخدامه المستمر للديالكتيك، الذي يذكره هنا مراراً، ويقيس به، بالضبط لأنه "العقل" وقد بات ماركسياً.

سلامة كيلة

يعنى أحيانًا بإفلاس الأممية مجرد الناحية الشكلية من هذه القضية، أي انقطاع الصلات الأممية بين الأحزاب الاشتراكية في البلدان المتحاربة، واستحالة انعقاد مجلس عام عالمي أو انعقاد المكتب الاشتراكي العالمي[1]، الخ... ويتشبث بوجهة النظر هذه بعض الاشتراكيين من البلدان المحايدة الصغيرة، وربما حتى معظم الأحزاب الرسمية القائمة فيها، ثم الانتهازيون والمدافعون عنهم. ففي الصحافة الروسية، تولى السيد فل. كوسوفسكي الدفاع عن وجهة النظر هذه في العدد 8 من "نشرة الأنباء" التي يصدره البوند[2]. ودافع عنها بصراحة جديرة بالامتنان العميق. ناهيك عن أن هيئة تحرير هذه "النشرة" لم تنبس ببنت شفة بصدد عدم موافقتها مع كوسوفسكي. ويمكننا أن نأمل بأن واقع دفاع السيد كوسوفسكي عن النزعة القومية، وقد بلغ به الأمر أن برر موقف الاشتراكيين- الديمقراطيين الألمان الذين صوتوا بالموافقة على الاعتمادات الحربية، سيساعد العديد من العمال على الإقناع نهائيًا بطابع البوند القومي- البرجوازي.

إن الاشتراكية، بالنسبة للعمال الواعين، عقيدة جديّة، لا قناع ملائم لستر نزعات التوفيق البرجوازية الصغيرة ونزعات المعارضة القومية. وهم يعنون بإفلاس الأممية خيانة أغلبية الأحزاب الاشتراكية- الديمقراطية الرسمية خيانة فاضحة

لعقائدها، وللبيانات والتصريحات المهيبة المدوية التي تضمنتها الخطب في مؤتمري شتوتغارت وبال العالميين[3] وقراراتهما، الخ... ولا يستطيع ألا يرى هذه الخيانة غير من لا يريدون أن يروها، غير من لا فائدة لهم في رؤيتها. وإذا شئنا أن نصوغ هذا الرأي بصورة علمية، أي من وجهة نظر العلاقات القائمة بين طبقات المجتمع المعاصر، ترتب علينا أن نقول أن معظم الأحزاب الاشتراكية- الديمقراطية وعلى رأسها، وفي المقام الأول منها، الحزب الأكبر والأكثر نفوذًا في الأممية الثانية، الحزب الألماني، قد وقفت إلى جانب هيئة أركانها العامة وحكومتها وبرجوازيتها، ضد البروليتاريا. وهذا حدث ذو أهمية تاريخية عالمية، ولذا لا بد لنا أن نحلل هذا الحدث تحليلاً شاملاً قدر الإمكان. ومن المعترف به منذ زمن بعيد أن الحروب، رغم ما تجره من ويلات وكوارث وفظائع، إنما تعود بالنفع الكبير إلى هذا الحد أو ذاك بمعنى أنها تكشف وتفضح وتحطم بلا رحمة ولا هوادة، الكثير من المتعفن، البالي، المتحجر في المؤسسات البشرية. وها هي الحروب الأوروبية في 1914 - 1915 قد أخذت تقدم أيضًا للبشرية نفعًا لا ريب فيه. لأنها بيّنت للطبقة المتقدمة في البلدان المتمدنة أن دُمّلاً قائحًا قبيحًا قد نضج في أحزابها، وأن نتانة جيفية لا تطاق، تتصاعد من مكان ما.

1

هل خانت الأحزاب الاشتراكية الرئيسية في أوروبا جميع عقائدها ومهماتها فعلاً؟ هذا الأمر لا يود أن يذكره، طبعًا، لا الخونة أنفسهم ولا الذين يعرفون تمام المعرفة -أو الذين يخمّنون بغموض- أنه سيترتب عليهم أن يعيشوا على وفاق وصداقة مع الخونة. ولكنه يجب علينا أن ننظر إلى الأمور وجهًا لوجه، ونسميها بأسمائها، ونقول الحقيقة للعمال، مهما بدا ذلك كريهًا لشتى "زعماء" الأممية الثانية أو لأصدقائهم بين كتل الاشتراكيين- الديمقراطيين الروس.

هل توجد ثمة معطيات واقعية حول مسألة معرفة كيف كانت الأحزاب الاشتراكية تنظر إلى مهماتها وتكتيكها قبل الحرب الحالية وتحوطًا لها؟ أجل، توجد بلا شك. فمنها قرار المؤتمر الاشتراكي العالمي الذي انعقد في بال عام 1912، ونعيد طبعه مع قرار المؤتمر الاشتراكي- الديمقراطي الألماني الذي انعقد في خمنيتز في السنة نفسها[4]، تذكيرًا "بالكلمات المنسية" للاشتراكية. إن هذا القرار، الذي يجمع حصيلة المنشورات الوافرة للدعاية والتحريض في جميع البلدان ضد الحرب إنما يشكل عرضًا في منتهى الدقة والكمال والمهابة والصراحة، للآراء الاشتراكية حول الحرب وحول التكتيك

الواجب إتباعه إزاء الحرب. وليس بالوسع أن ننعت بغير الخيانة هذا الواقع بالذات وهو أنه ما من زعيم من زعماء أممية الأمس والاشتراكية- الشوفينية الحالية، لا هايندمان، ولا غيد، ولا كاوتسكي، ولا بليخانوف، يجرؤون على تذكير قرائهم بهذا القرار، إنما يلزمون حوله الصمت المطبق، أو أنهم لا يوردون منه (كما يفعل كاوتسكي) سوى مقاطع ثانوية، تاركين جانبًا كل النقاط الجوهرية. فمن أبرز ظواهر إفلاس الأممية، اتخاذها القرارات "اليسارية" ولا أكثر، والثورية ولا أشد، ثم تناسيها هذه القرارات بأقصى الوقاحة أو التنكر لها؛ وهاتان الظاهرتان تشكلان في الوقت نفسه دليلاً من أبلغ الأدلة على أنه لا يمكن أن يؤمن اليوم "بتعديل" ا لاشتراكية، و"تقويم خطتها" عن طريق القرارات فقط، غير الذين تتاخم سذاجتهم التي لا مثيل لها الرغبة الماكرة في إدامة رياء الأمس.

للأمس القريب، إذا جاز القول، حين قلب هايندمان رأيه قبل الحرب وأخذ جانب الدفاع عن الإمبريالية، اعتبره جميع الاشتراكيين "المحترمين" شخصًا غريب الأطوار ومخبلاً، ولم يكن أحد يذكره بغير الاستخفاف. أما اليوم فإن أبرز الزعماء الاشتراكيين- الديمقراطيين في جميع البلدان قد انزلقوا تمامًا نحو موقف هايندمان، ولم تبقَ منهم سوى فوارق من

حيث التلوين والمزاج. وليس بوسعنا إطلاقًا أن نقدر ونصف بتعبير لطيف إلى حد ما، الشجاعة المدنية التي تتحلى بها جماعة من الناس كمحرري "ناشه سلوفو"[5]، مثلاً، الذين يكتبون عن "السيد" هايندمان بلهجة سخر وازدراء، بينما يتحدثون -أو يسكتون- عن "الرفيق" كاوتسكي باحترام (أو بتملق؟). فهل يمكن لك أن توفق بين هذا الموقف وبين الاحترام اللازم للاشتراكية ولعقائدك بعامة؟ وإذا كنت مقتنعًا بما تنطوي عليه شوفينية هايندمان من كذب وضرر، أفلا يجدر بك أن توجه انتقاداتك ضد مدافع عن هذه المفاهيم أكثر نفوذًا وأشد خطرًا، وأعني به كاوتسكي؟

إن آراء غيد قد عرضها في الآونة الأخيرة بصورة قد تكون الأوسع تفصيلاً، الغيدي شارل دوما، وذلك في كراسة: "السلام الذي نريد". إن "رئيس ديوان جول غيد" هذا، الذي يوقع اسمه هكذا في غلاف الكراس، "يستشهد" طبعًا بتصريحات وبيانات الاشتراكيين السابقة المفعمة بالروح الوطنية (كما يستشهد الاشتراكي- الشوفيني الألماني دافيد بتصريحات وبيانات مماثلة، في كراسة الأخير حول الدفاع عن الوطن)، ولكنه لا يستشهد ببيان بال! وبليخانوف أيضًا يلزم الصمت حول هذا البيان، عارضًا تفاهات شوفينية بتفاخر فائق

العادة.وينهج كاوتسكي على غرار بليخانوف؛ فهو يستشهد ببيان بال، ولكنه يغفل منه جميع الفقرات الثورية (أي كل محتواه الأساسي!)، ومن المحتمل أنه يفعل ذلك بحجة قيود الرقابة... حقًا إن البوليس والسلطات العسكرية، بما تفرضه من رقابة وقيود على الكلام عن النضال الطبقي والثورة، إنما تمد يد المساعدة، "وقت الحاجة تمامًا"، لخونة الاشتراكية!

ولكن، ربما كان بيان بال نداءً فارغًا، خاليًا من كل مضمون دقيق، تاريخي وتكتيكي، يرتبط بلا شك بالحرب المعنية الحالية؟

كلا، بل الأمر على العكس تمامًا. فإن قرار بال ينطوي على تصريحات فارغة أقل مما ينطوي عليها غيره، كما ينطوي أكثر من غيره على مضمون ملموس. فهو يتناول على وجه الدقة هذه الحرب التي اندلعت، ويتحدث على وجه الدقة عن هذه النزاعات الإمبريالية التي نشبت في 1914-1915. فالنزاعات بين النمسا وبلاد الصرب حول البلقان، وبين النمسا وإيطاليا حول ألبانيا، الخ.، وبين إنجلترا وألمانيا حول أسواق التصريف والمستعمرات بعامة، وبين روسيا وتركيا، الخ..، حول أرمينيا والقسطنطينية، هي التي يتناولها قرار بال تحوطًا للحرب الحالية على وجه الدقة. وبصدد

الحرب الحالية على وجه التحديد بين "الدول الأوروبية الكبرى" يعلن قرار بال إن هذه الحرب "لا يمكن تبريرها بأية ذريعة تمت بصلة إلى أي مصلحة من مصالح الشعوب"!

فإذا كان بليخانوف وكاوتسكي - وهما الاشتراكيان النافذان النموذجيان اللذان نعرفهما أكثر من غيرهما، أحدهما يكتب بالروسية والآخر ينقله التصفويون[6] إلى هذه اللغة- يفتشان اليوم للحرب (بمساعدة اكسيلرود) عن شتى "المبررات الشعبية" (أو، بالأصح، مبررات عامة الشعب، أي مبررات مستقاة من الصحافة البرجوازية المبتذلة)؛ وإذا كانا يوردان "كأمثلة" حربي 1813 و 1870 (بليخانوف) أو حروب 1854-1871 و 1876-1877 و 1897 (كاوتسكي)، ويفعلان ذلك بسيماء العالم الرصين، ويدعمان أقوالهما بكثرة من الاستشهادات المشوهة المستقاة من مؤلفات ماركس، فإنه يبقى من الثابت أن الذين خلوا من أية عقيدة اشتراكية ومن كل ذرة من الوجدان الاشتراكي هم وحدهم الذين يسعهم أن يحملوا "على محمل الجد" مثل هذه الذرائع، وألا ينعتوها بالجزويتية القصوى، والنفاق، وتحفيز الاشتراكية! لتصب إدارة الحزب الألمانية ("فورشتاند") اللعنة على مجلة مهرينغ ورزا لوكسمبورغ الجديدة (أي "انترناسيوناله"[7]) لأنها

قدرت كاوتسكي حق قدره؛ ليتابع فاندرفيلده وبليخانوف وهايندمان وشركاهم، بمساعدة بوليس "الوفاق الثلاثي"[8]، انتهاج نفس خط التعالي إزاء خصومهم، فإننا سنرد بإعادة طبع بيان بال الذي يفضح انعطاف الزعماء الذي ليس له من كلمة تصفه غير كلمة الخيانة.

إن قرار بال لا يتحدث عن الحرب الوطنية ولا عن الحرب الشعبية، اللتين لم تشهد أوروبا أمثلة لهما وحسب، بل حتى كانتا كذلك نوعين مميزين من الحروب في مرحلة 1789-1871، ولا عن الحرب الثورية -وهي الحروب التي لم يقسم الاشتراكيون- الديمقراطيون قط على عدم خوضها؛ إنما يتحدث عن الحرب الحالية، القائمة على أرضية "الإمبريالية الرأسمالية" و"مصالح الأسر المالكة"، على أرضية "سياسة الفتح" التي تنتهجها كتلتا الدول المتحاربة، سواء الكتلة النمساوية الألمانية أما الكتلة الإنجليزية الفرنسية الروسية. ولذا فإن بليخانوف وكاوتسكي ومن لف لفهما يخدعون العمال، لا أكثر ولا أقل، حين يرددون ما تذيعه برجوازية جميع البلدان من أكاذيب مغرضة، وهي التي تبذل قصارى جهدها لكي تظهر هذه الحرب الإمبريالية، اللصوصية، هذه الحرب من أجل المستعمرات بمثابة حرب شعبية، دفاعية (بالنسبة لأي كان)،

وحين يسعون إلى إيجاد المبررات والمعاذير لها في ميدان الأمثلة التاريخية عن حروب غير إمبريالية.

إن مسألة طابع الحرب الحالية الإمبريالي، اللصوصي، المعادي للبروليتاريا، لم تعد تعتبر، منذ زمن بعيد، مسألة نظرية صرفًا. فليس من الناحية النظرية وحسب تم تقييم الإمبريالية، بكل ميزاتها الرئيسية، بوصفها نضال البرجوازية المتهافتة، البالية، المتعفنة، من أجل اقتسام واستعباد الأمم "الصغيرة"، ولم تتكرر هذه الاستنتاجات آلاف المرات في النشرات الصحفية الهائلة التي يصدرها اشتراكيو جميع البلدان وحسب؛ وليس ممثل الأمة "الحليفة" بالنسبة لبلادنا، الفرنسي ديليزي، مثلاً، هو وحده الذي أوضح بأسلوب مبسط في كراسة "الحرب القادمة" (في عام 1911!) أن الحرب الحالية إنما هي حرب لصوصية من جانب البرجوازية الفرنسية أيضًا، بل أن ممثلي الأحزاب البروليتارية من جميع البلدان قد أعربوا كذلك بالإجماع، وبكل وضوح، في بال، عن راسخ يقينهم بقرب وقوع حرب إمبريالية على وجه الدقة، واستخلصوا من هذا الأمر استنتاجات تكتيكية. ولذا، يجب، فيما يجب، أن نرفض فورًا، باعتبارها سفسطة، جميع الذرائع التي تقول بأن الفرق بين التكتيك الوطني

والتكتيك الأممي لم يدرس دراسة كافية (راجعوا الحديث الأخير الذي أدلى به أكسيلرود ونشرته "ناشه سلوفو" في عدديها 87 و 90)، الخ..، وهكذا دواليك. وإنها حقًا لسفسطة، لأن دراسة الإمبريالية دراسة علمية مفصلة شيء (فإن هذه الدراسة لا تزال في خطواتها الأولى، وهي، من حيث الأساس، لا نهاية لها، كما هو عليه العلم كله)؛ بينما أسس التكتيك الاشتراكي ضد الإمبريالية الرأسمالية، المعروضة في ملايين النسخ من الصحف الاشتراكية- الديمقراطية وفي قرارات الأممية، شيء آخر.

إن الأحزاب الاشتراكية ليست بنوادٍ للمناقشة والمماحكة، بل منظمات للبروليتاريا المناضلة، وحين تنتقل بضع كتائب إلى جانب العدو، فإنه يجب علينا التنديد بها وإعلان خيانتها، دون أن "نؤخذ" بالخطب المرائية التي تزعم أن "كل الناس" لا يفهمون الإمبريالية "بالطريقة نفسها"، وأن الشوفيني كاوتسكي والشوفيني كونوف، مثلاً، يستطيعان كتابة مجلدات في هذا الموضوع، وأن المسألة "لم تبحث بحثًا كافيًا"، الخ..، وهكذا دواليك. فإن الرأسمالية لن تدرس أبدًا إلى النهاية في كل مظاهر لصوصيتها وفي أقل تشعبات تطورها التاريخي وخصائصها القومية؛ ولن يكف العلماء (والمدعون خاصة) أبدًا عن الجدال

حول التفاصيل الخاصة. بيد أنه من السخف أن نقلع من "جراء ذلك" عن النضال الاشتراكي ضد الرأسمالية، وألا نبغي معارضة الذين خانوا هذا النضال. ولكن، ماذا يعرض علينا كاوتسكي، وكونوف، واكسيلرود، وأضرابهم، إن لم يكن هذا؟

فما من أحد حاول اليوم، وقد اندلعت نيران الحرب، أن يحلل قرار بال وأن يثبت خطئه!

2

ولكن، ربما أيد الاشتراكيون الصادقون قرار بال مفترضين سلفًا أن الحرب ستؤدي إلى نشوء وضع ثوري، في حين جاءت الأحداث تكذب آمالهم وتبين أن الثورة مستحيلة؟

بمثل هذه السفسطة بالضبط، يحاول كونوف (في كراسة "إفلاس الحزب؟" وفي جملة من المقالات) تبرير انتقاله إلى معسكر البرجوازية. وإننا لنجد مثل هذه "الذرائع"، بشكل تلميحات، عند جميع الاشتراكيين- الشوفينيين تقريبًا، وعلى رأسهم كاوتسكي. لقد تبين أن الأمل بنشوب الثورة كان ضربًا من الأوهام؛ والحال، لا يجدر بالماركسي أن يدافع عن الأوهام. هكذا يحاكم كونوف. ولكن هذا الستروفي[9] لا ينبس ببنت شفة عن "وهم" جميع الذين وقعوا بيان بال، غير أنه ينبغي، كرجل كريم بالغ الكرم، أن يلقي تبعتها على جماعة أقصى اليسار، أمثال بانيكوك ورادك!

لنبحث، في الأساس، الذريعة القائلة أن واضعي بيان بال قد افترضوا بصدق وإخلاص نشوب الثورة، ولكن الأحداث جاءت تكذب آمالهم. يقول بيان بال:

1- إن الحرب ستسفر عن أزمة اقتصادية وسياسية.

2- إن العمال سيعتبرون اشتراكهم في الحرب جريمة، و"تذابحًا" مجرمًا "في صالح أرباح الرأسماليين ولما فيه غطرسة الأسر المالكة، ومن أجل تنفيذ المعاهدات الدبلوماسية السرية"؛ وأن الحرب ستثير "الاستنكار والغضب" بين العمال.

3- إنه ينبغي على الاشتراكيين استغلال هذه الأزمة وهذه الحالة النفسية عند العمال من أجل "استثارة الشعب والتعجيل بإفلاس الرأسمالية".

4- إن "الحكومات" -جميعها بلا استثناء- لا تستطيع أن تشن الحرب "دون أن تعرض نفسها للخطر".

5- إن الحكومات "تخشى الثورة البروليتارية".

6- إنه "يحسن" بالحكومات "أن تتذكر" كومونة باريس (أي الحرب الأهلية)، وثورة 1905 في روسيا الخ.. وكلها أفكار واضحة كل الوضوح؛ إنها لا تنطوي على ضمانة نشوب الثورة، إنما يبرز فيها وصف الوقائع والاتجاهات وصفًا دقيقًا. فإن من يقول، بصدد هذه الأفكار والمحاكمات، أن احتمال نشوب الثورة كان ضربًا من الأوهام، إنما يقف من الثورة موقفًا غير ماركسي، إنما يقف موقفًا ستروفيًا، موقفًا بوليسيًا وارتداديًا.

إن الماركسي لا يشك مطلقًا في أن الثورة مستحيلة دون وضع ثوري، ولكن ليس كل وضع ثوري يؤدي إلى الثورة. فما هي بعامة دلائل الوضع الثوري؟ يقينًا أننا لن نخطئ إذا أشرنا إلى الدلائل الرئيسية الثلاث التالية:

1- يستحيل على الطبقات السائدة الاحتفاظ بسيادتها دون أي تغيير؛ أن تنشب هذه الأزمة أو تلك في "القمة" أي أن تنشب أزمة في سياسة الطبقة السائدة، تسفر عن صدع يتدفق منه استياء الطبقات المضطهدة وغضبها. فلكي تنفجر الثورة، لا يكفي عادة "ألاّ تريد القاعدة بعد الآن" أن تعيش كما في السابق، بل ينبغي أيضًا "ألا تستطيع القمة ذلك".

2- أن يتفاقم بؤس الطبقات المضطهدة ويشتد شقاؤها أكثر من المألوف.

3- أن يتعاظم كثيرًا، للأسباب المشار إليها آنفًا، نشاط الجماهير التي تستسلم للنهب بهدوء في زمن "السلم"، ولكن التي تدفعها، في زمن العاصفة، سواء أجواء الأزمة كلها أم **"القمة" نفسها**، إلى القيام بنشاط تاريخي مستقل.

ودون هذه التغيرات الموضوعية المستقلة؛ لا عن إرادة هذه الكتل والأحزاب أو تلك وحسب، بل أيضًا عن إرادة هذه الطبقات أو تلك، تستحيل الثورة، بوجه عام. ومجموع هذه التغيرات الموضوعية يسمى وضعًا ثوريًا. هذا الوضع كان قائمًا عام 1905 في روسيا وفي جميع المراحل الثورية في الغرب؛ ولكنه كان قائمًا أيضًا في سنوات العقد السابع من القرن الماضي في ألمانيا، وكذلك من 1859 إلى 1861 ومن 1879 إلى 1880 في روسيا، وإن لم تقع ثورات في تلك الفترات. لماذا؟ لأن الثورة لا تنشأ عن كل وضع ثوري، إنما تنشأ فقط إذا انضم إلى جميع التغيرات الموضوعية المذكورة آنفًا تغير ذاتي، وأعني به قدرة الطبقة الثورية على القيام بأعمال ثورية جماهيرية، قوية إلى حد أنها تحطم (أو تصدع) الحكم القديم الذي لن "يسقط" أبدًا حتى في فترة الأزمات، إن لم "يُعمل على إسقاطه".

هذه هي آراء الماركسية بصدد الثورة؛ وهذه الآراء طورها جميع الماركسيين مرارًا عديدة واعتبروها أكثر من مرة آراء لا جدال فيها وأكدتها لنا، نحن الروس، تجربة 1905، ببلاغة خاصة. وأننا لنتساءل: ماذا كان يفترض بهذا الصدد بيان بال الصادر عام 1912 وماذا جرى في 1914-1915؟

كان يفترض وضعًا ثوريًا، يعبر عنه بإيجاز تعبير "أزمة اقتصادية وسياسية". فهل طرأ هذا الوضع؟ أجل، لا ريب في ذلك مطلقًا. فإن الاشتراكي- الشوفيني لنتش (الذي يتولى الدفاع عن الشوفينية بمزيد من الاستقامة والصراحة والولاء عما يفعله المنافقون كونوف وكاوتسكي وبليخانوف ومن لف لفهم) قد ذهب إلى حد القول: "أن ما نجتازه إنما هو ثورة أصيلة" (الصفحة 6 من كراسة: "الاشتراكية- الديمقراطية الألمانية والحرب"، برلين، 1915).

فالأزمة السياسية قائمة: ما من حكومة تثق بالغد، ما من حكومة في مأمن من خطر الانهيار المالي، من أن تُنتزع منها أرضها، وتطرد من بلادها (كما جرى لحكومة بلجيكا التي طردت من بلادها). وجميع الحكومات تعيش كأنها على فوهة بركان، وجميعها تعول بنفسها على مبادرة الجماهير وبسالتها. والنظام السياسي الأوروبي مزعزع بكليته، ويقينًا أن أحدًا لن ينكر أننا دخلنا (وندخل بعمق متزايد -أكتب هذه الأسطر يوم إعلان إيطاليا الحرب) في مرحلة من الهزات السياسية الكبرى. فإذا كان كاوتسكي قد كتب في (Neue Zeit) (نويه زايت)[10] بعد إعلان الحرب بشهرين (في 2 تشرين الأول -أكتوبر- 1914)، يقول أنه "ما من وقت

تكون فيه الحكومة قوية بقدر ما تكون عليه في بداية الحرب، وما من وقت تكون فيه الأحزاب ضعيفة بقدر ما تكون عليه في بداية الحرب"، فإن قوله هذا لم يكن سوى مثال على تزويره العلم التاريخي سعيًا منه لإرضاء زوديكوم وأضرابه[11] وغيرهم من الانتهازيين. فإن الحكومة لا تحتاج في أي وقت إلى موافقة جميع أحزاب الطبقات السائدة وإلى خضوع الطبقات المضطهدة لهذه السيادة خضوعًا "سلميًا"، حاجتها إليهما إبان الحرب. هذا أولاً. وثانيًا: إذا كانت الحكومة تبدو كلية القدرة، "في بداية الحرب"، وخاصة في بلد يتوقع انتصارًا سريعًا، فإن أحدًا في أي زاوية من العالم لم يربط قط توقع حدوث وضع ثوري "ببداية" الحرب بوجه الحصر، ولم يأخذ بالأحرى، "الظاهر"، على أنه الواقع.

إن الجميع كانوا يعرفون ويرون ويقرون أن الحرب الأوروبية ستكون قاسية، وأقسى من جميع الحروب الأخرى. وها هي تجربة الحرب تؤكد ذلك أكثر فأكثر على الدوام. فالحرب تمتد وتتسع، والأسس السياسية في أوروبا تتزعزع أكثر فأكثر. وشقاء الجماهير رهيب، والجهود التي تبذلها الحكومات والبرجوازية والانتهازيون للسكوت عن هذا الواقع تبوء أكثر فأكثر بالإخفاق. والأرباح التي تبتزها بعض

الكتب الرأسمالية من الحرب أرباح فاحشة بصورة فاضحة لا سابق لها. وقد بلغ تفاقم التناقضات مقاييس ضخمة جدًا. ثم هناك استياء الجماهير المكتوم، وطموح الفئات المضطَهدة الجاهلة الغامض إلى سلام طيب ظريف ("ديمقراطي")، والتذمر الذي بدأ في "القاعدة". وكلما طال أمد الحرب واشتد أوارها، كلما طورت الحكومات نفسها واضطرت إلى تطور نشاط الجماهير، داعية إياها إلى بذل قصارى الجهد وإلى التفاني اللامحدود.

إن تجربة الحرب، مثلها مثل تجربة كل أزمة في التاريخ، وكل كارثة كبرى وكل انقلاب في حياة الإنسان، تجعل البعض بلداء وتحطمهم، وتعلم بالعكس البعض الآخر وتشد مراسه، علمًا بأن هذا البعض الآخر كان على امتداد تاريخ العالم كله، باستثناء بضعة حالات من انحطاط وهلاك من الدولة أو تلك، أكثر عددًا وأعظم قوة من البعض الأول في آخر المطاف.

إن عقد الصلح لا يمكن له أن يضع حدًا، "دفعة واحدة"، لكل هذا الشقاء ولكل هذا التفاقم في التناقضات، وليس هذا وحسب، بل إنه، على العكس، يجعل هذا الشقاء، في كثير من النواحي، واضحًا جدًا بالنسبة لأشد جماهير السكان تأخرًا، ويحملها على المزيد من الإحساس به.

وبكلمة، إن الوضع الثوري موجود في معظم البلدان المتقدمة والدول الكبرى الأوروبية. وبهذا الصدد، ثبتت تمامًا صحة تنبؤ بيان بال. وأي إنكار لهذه الحقيقة، مباشرة أم بصورة غير مباشرة، أو السكوت عنها، كما يفعل كونوف، وبليخانوف وكاوتسكي وأضرابهم، إنما يعني الإمعان في الكذب الفظيع، وخداع الطبقة العاملة، وخدمة البرجوازية. وقد أوردنا في "سوسيال- ديموقراط"[12] (الأعداد 34 و40 و41) معطيات تبين أن من يخشون الثورة، الكهنة المسيحيون التافهون الضيقو الآفق، وهيآت الأركان العامة، وصحف أصحاب الملايين، قد اضطروا إلى الاعتراف بوجود أعراض وضع ثوري في أوروبا".(*)

فهل يدوم هذا الوضع فترة طويلة وأي حد يبلغ في تفاقمه؟ هل يؤدي إلى الثورة؟ إننا نجهل هذا الأمر، وما من أحد يستطيع أن يعرفه. ولن يبيّنه غير تجربة تطور الأمزجة الثورية وانتقال الطبقة الطليعية، البروليتاريا، إلى الأعمال الثورية. فلا مجال هنا لأية "أوهام" بوجه عام، ولا لدحضها، لأنه ما من

(*) راجعوا: لينين "صوت ألماني عن الحرب"، "مساهمة في توضيح شعار الحرب الأهلية"، "محبو البشر البرجوازيون والديمقراطية الاشتراكية الثورية".

اشتراكي ضمن في أي مكان من العالم وفي أي فترة من الزمان بأن الثورة تنشأ على وجه الضبط من الحرب الحالية (لا من الحرب المقبلة)، على وجه الضبط من الوضع الثوري (لا من الوضع المقبل). والكلام هنا يدور حول واجب جميع الاشتراكيين، الثابت تمامًا، والأساسي كليًا، ألا وهو واجب أن يبينوا للجماهير وجود وضع ثوري، ويوضحوا مداه وعمقه، ويوقظوا وعي البروليتاريا الثوري وعزيمتها الثورية. ويساعدوها على الانتقال إلى الأعمال الثورية وينشئوا منظمات تتلائم والوضع الثوري من أجل العمل في هذا السبيل.

وليس ثمة اشتراكي نافذ ومسئول تجرأ قط على أن يشك في أن هذا هو بالذات واجب الأحزاب الاشتراكية؛ وبيان بال يتحدث بالتحديد عن واجب الاشتراكيين هذا، دون أن ينشر أو يخلق أقل "وهم": حث الشعب و"هزه" (لا تنويمه بالشوفينية كما يفعل بليخانوف، واكسيلرود وكاوتسكي)، و"استغلال" الأزمة "للتعجيل" في إفلاس الرأسمالية؛ الاسترشاد بأمثلة الكومونة وتشرين الأول -كانون الأول (أكتوبر- ديسمبر) 1905. ولذا فإن عدم قيام الأحزاب الحالية بواجبها هذا إنما يعني خيانتها، وموتها السياسي، وتنازلها عن دورها، وانتقالها إلى جانب البرجوازية.

ولكن كيف أمكن أن خان ممثلو الأممية الثانية وزعماؤها البارزون الاشتراكية؟ إننا سنعود بالتفصيل إلى هذه المسألة بعد أن ندرس أولاً المحاولات المبذولة لتبرير هذه الخيانة "نظريًا". لنحاول الآن أن نحلل النظريات الرئيسية للاشتراكية- الشوفينية التي يمكن اعتبار بليخانوف (الذي يردد، في الغالب، حجج الشوفينيين الأنجلو- فرنسيين، حجج هايندمان وأنصاره الجدد) وكاوتسكي (الذي يدلي بحجج أكثر "حذاقة" بكثير، وتبدو على رصانة نظرية أكبر بما لا يقاس) ممثليها.

قد تكون نظرية "البادئ" بدائية أكثر من جميع النظريات الأخرى: لقد هوجمنا، ونحن ندافع عن أنفسنا، كذلك مصالح البروليتاريا تتطلب صد المخلّين بالسلام الأوروبي. إن هذا القول إنما هو ترداد لتصريحات جميع الحكومات ولبيانات الصحافة البرجوازية والصحافة الصفراء في العالم كله. ولكن بلخيانوف يزين حتى هذه التفاهة المطروقة باستشهاد جزويتي بـ "الدياليكتيك"، إلزامي عنده: فهو يزعم أنه يجب، لأجل مراعاة الوضع الملموس، اكتشاف البادئ قبل كل شيء، والاقتصاص منه، وإرجاء جميع القضايا الأخرى حتى الوضع المقبل (راجع كراس بليخانوف "حول الحرب"، باريس،

1914، وترديد أكسيلرود لمحاكمات بليخانوف في صحيفة "غولوس"[13]، العددين 86 و 87).

حقًا إن بليخانوف قد ضرب الرقم القياسي في هذه المهمة النبيلة، مهمة إحلال السفسطة محل الديالكتيك. فالسفسطائي يخطف "حجة" ما من الحجج؛ والحال، لقد سبق لهيغل نفسه أن قال على حق أنه يمكن إيجاد "حجج" لكل شيء في العالم. ولكن الدياليكتيك يتطلب دراسة كل ظاهرة اجتماعية من جميع وجوهها، وخلال تطورها، وإعادة العمل الخارجي، الظاهري، إلى القوى الجذرية المحركة، إلى تطور القوى المنتجة والنضال الطبقي. أما بليخانوف، فإنه يخطف مقتطفًا من الصحافة الاشتراكية- الديمقراطية الألمانية، ويقول أن الألمان أنفسهم كانوا يعترفون قبل الحرب بأن النمسا وألمانيا هما البادئتان، وهذا كل شيء، أما أن الاشتراكيين الروس قد فضحوا مرارًا المشاريع التي وضعتها القيصرية للاستيلاء على غاليسيا وأرمينيا والخ... فيسكت بليخانوف عن هذا الواقع. بل أننا لا نرى عنده أي ظل لمحاولة الرجوع إلى التاريخ الاقتصادي والدبلوماسي للعقود الثلاثة الأخيرة على الأقل، والحال، أن هذا التاريخ يبين بما لا يقبل الجدل أن الاستيلاء على المستعمرات ونهب أراضي

الغير، وإزاحة وخراب منافس أوفر حظًا، أن كل ذلك بالذات قد كان المحور الرئيسي للسياسة التي انتهجتها كتلتا الدول المتحاربة حاليًا. (*)

(*) ومما له دلالته الكبرى بهذا الصدد كتاب المسالم الإنجليزي بريلسفورد، الذي لا يتورع حتى عن الظهور بمظهر الاشتراكي: "حرب الفولاذ والذهب" (لندن، 1914؛ إن هذا الكتاب يحمل تاريخ شهر آذار (مارس) 1914!). فإن المؤلف يدرك جيدًا جدًا أن المسائل الوطنية، على وجه العموم، تبقى في المؤخرة، وأنها حلت (صفحة 35)، وأن المشكلة ليست هنا في الوقت الحاضر، وأن "المسألة النموذجية للدبلوماسية العصرية" (صفحة 36) إنما هي سكة حديد بغداد، وتقديم القضبان الفولاذية لبنائها، ومناجم المعادن في مراكش، الخ... ويعتبر المؤلف على صواب أن من "أوفر الأحداث عبرًا وأطرفها في تاريخ الدبلوماسية الأوروبية الحديث" إنما هو نضال الوطنيين الفرنسيين والإمبرياليين الإنجليز ضد المحاولات التي بذلها كايو (في 1911 و 1913) للتفاهم مع ألمانيا على أساس اتفاق يقضي بتقاسم مناطق النفوذ في المستعمرات وبقبول الأوراق الألمانية في بورصة باريس. غير أن البرجوازية الإنجليزية والفرنسية أحبطت هذا الاتفاق (ص 38-40). إن هدف الإمبريالية إنما هو تصدير الرساميل إلى البلدان الضعيفة (صفحة 74). وقد تراوحت أرباح هذه الرساميل في إنجلترا بين 90 و 100 مليون جنيه إسترليني في 1899 (جيفن)

وبلغت 140 مليونًا في 1909 (بيش)؛ ونضيف من جهتنا قائلين أن لويد جورج قد رفع هذا الرقم، في خطاب ألقاه مؤخرًا، إلى 200 مليون جنيه إسترليني، أي ما يعادل زهاء ملياري روبل. — أما قوام المسألة، فهو الدسائس والاحابيل القذرة، ورشوة الوجهاء الأتراك وتوفير المناصب لأبناء الذوات في الهند ومصر (ص 85-87). وهكذا تكسب أقلية ضئيلة من التسلح والحروب، ولكنها تحظى بتأييد المجتمع ورجال المال، بينما لا يقف إلى جانب أنصار السلم سوى السكان المنقسمين (صفحة 93). والمسالم الذي يتكلم اليوم عن السلام ونزع السلاح يصبح غدًا عضوًا في حزب تابع كل التبعية للمتعهدين الحربيين (صفحة 161). وإذا أصبح الوفاق الثلاثي هو الأقوى، استولى على مراكش واقتسم بلاد فارس،- واستولى الحلف الثلاثي (14) على طرابلس ا لغرب، وعزز مواقعه في البوسنة، وأخضع لنفسه تركيا (صفحة 167). وقد أمدت لندن وباريس روسيا بالمليارات في آذار (مارس) 1906 لكي تساعد القيصرية في سحق حركة التحرر (ص 225-228)؛ وإنجلترا تساعد الآن روسيا في خنق بلاد فارس (صفحة 229)؛ وقد أشعلت روسيا نيران الحرب في البلقان (صفحة 230). كل هذا لا شيء جديد فيه، أليس كذلك؟ كل هذه الوقائع يعرفها وقد رددتها الصحف الاشتراكية- الديمقراطية في العالم ألوف المرات. وها أن برجوازيًا إنجليزيًا يدركها تمام الإدراك عشية الحرب. ولكن، إلى جانب هذه الوقائع البسيطة التي يعرفها الجميع، أية سخافة معيبة، وأي نفاق لا يطاق، وأي كذب معسول

إن الموضوعة الأساسية في الديالكتيك الذي يشوهه بليخانوف بوقاحة بالغة إرضاءً للبرجوازية، إنما هي، مطبقةً على الحروب، الموضوعة التالية: "إن الحرب هي مجرد استمرار للسياسة بوسائل أخرى" (أي بوسائل عنيفة)، تلك هي صيغة كلاوزفيتس(*)، وهو من كبار كتاب تاريخ الحروب، وقد أخصب هيغل أفكاره. وتلك كانت دائمًا وجهة نظر ماركس وأنجلس، فقد اعتبرا أن كل حرب هي استمرار لسياسة الدول المعنية، ذات المصلحة، وشتى الطبقات في

تصحبها نظريات بليخانوف وبوتريسوف حول مسئولية ألمانيا أو نظريات كاوتسكي حول "آفاق" نزع السلاح وإقامة سلام طويل الأمد في ظل الرأسمالية!

(*) Karl Von Clausewitz: "Vom Kriege", Werke, I Bd., S. 28 قارنوا المجلد الثالث، ص 139-140: "يعلم الجميع أن الحروب إنما تستثيرها فقط العلاقات السياسية بين الحكومات والشعوب، ولكنه من المعتاد الظن بأن هذه العلاقات تكف عند وقوع الحرب وأن وضعًا مختلفًا تمامًا يطرأ وهو لا يخضع إلا لقوانينه الخاصة. ولكننا نحن نؤكد العكس: أن الحرب ليست سوى استمرار للعلاقات السياسية مع استعمال وسائل أخرى".

داخل هذه الدول، ذات المصلحة، -وشتى الطبقات في داخل هذه الدول- في فترة معينة.

إن بليخانوف، في شوفينيته الفظة، يقف تمامًا الموقف النظري نفسه الذي يقفه كاوتسكي في شوفينيته اللبقة والتوفيقية والمعسولة، وذلك حين يكرّس كاوتسكي انتقال اشتراكيي جميع البلدان إلى جانب رأسمالييهم" بالمحاكمات التالية:

جميعهم يحق لهم ويجب عليهم أن يدافعوا عن وطنهم، فالأممية الحقيقية تتلخص في إقرارها بهذا الحق لاشتراكيي جميع الأمم، بما فيها الأمم المحاربة ضد أمتي... (راجع "Neue Zeit"، 2 تشرين الأول (أكتوبر) 1914 وغير ذلك من مؤلفات الكاتب نفسه).

إن هذه المحاكمة التي لا مثيل لها هي تهكم تافه كل التفاهة بالاشتراكية إلى حد أن خير جواب يمكن الرد به عليها هو التوصية بسك ميدالية على جانب منها صورتا غليوم الثاني ونقولاي الثاني وعلى الجانب الآخر صورتا بليخانوف وكاوتسكي. فالأممية الحقيقية، كما ترون، تتلخص في تبرير إطلاق العمال الفرنسيين الرصاص على العمال الألمان وإطلاق العمال الألمان الرصاص على العمال الفرنسيين، "دفاعًا عن الوطن"!

ولكننا إذا أمعنا النظر في المقدمات النظرية لمحاكمات كاوتسكي، توصلنا على وجه الدقة إلى هذا الرأي الذي سخر منه كلاوزفيتس منذ 80 سنة تقريبًا والذي يزعم أن العلاقات السياسية التي نشأت عبر التاريخ بين الشعوب والطبقات إنما تكف عند نشوب الحرب، وأن وضعًا مختلفًا تمامًا يطرأ! فليس ثمة "بكل بساطة" سوى الذين يهاجمون والذين يدافعون عن أنفسهم، ويصدون "بكل بساطة" "أعداء الوطن"!

فالاضطهاد الذي تمارسه شعوب الدول الإمبريالية الكبرى إزاء جملة كاملة من الأمم تؤلف أكثر من نصف سكان الكرة الأرضية، والتزاحم بين برجوازيات هذه البلدان على اقتسام الغنيمة، ونزعة الرأسمال إلى شق صفوف الحركة العمالية وسحقها، كل هذا اختفى دفعة واحدة من مجال رؤية بليخانوف وكاوتسكي، مع أنهما ظلا يرسمان مثل هذه "السياسة" بالذات طوال عشرات السنين قبل الحرب.

ويستشهد زعيما الاشتراكية الشوفينية هذان خداعًا ومكرًا بماركس وأنجلس، واستشهاداتهما الكاذبة هذه هي حجتهما "الدامغة": فإن بليخانوف يذكر حرب بروسيا الوطنية عام 1813، وحرب ألمانيا في 1870؛ ويبرهن

كاوتسكي، بسيماء العالم العلامة، على أن ماركس بحث مسألة معرفة نجاح أي جانب (أي أية برجوازية) هو المفضل في حروب 1854-1855، و 1859، و 1870-1871، وعلى أن الماركسيين قد بحثوها أيضًا بالنسبة لحربي 1876-1877، و 1897. وهذا هو أسلوب جميع السفسطائيين في جميع الأزمنة، وقوامه أخذ أمثلة من المعروف سلفًا أنها ترتبط بحالات مختلفة مبدئيًا.

فإن الحروب السابقة التي يضربونها لنا على سبيل المثال إنما كانت "استمراراً لسياسة" الحركات الوطنية البرجوازية التي قامت سنوات طويلة ضد النير الأجنبي الذي تمارسه أمة أخرى، وضد الحكم المطلق (التركي والروسي). ولذا لم يكن بالإمكان أن توضع حينذاك أية مسألة غير مسألة تفضيل نجاح هذه البرجوازية أو تلك؛ وكان بوسع الماركسيين أن يدعوا الشعوب سلفًا إلى حروب من هذا النوع بإذكائهم سعير الأحقاد القومية، كما دعا ماركس في 1848، وفيما بعد، إلى الحرب ضد روسيا، وكما فعل انجلس في 1859

عندما أذكى سعير الحقد القومي عند الألمان على مضطهديهم، نابليون الثالث والقيصرية الروسية".(*)

أن تقارن "استمرار سياسة" النضال ضد الإقطاعية والحكم المطلق، سياسة البرجوازية بسبيل التحرر، مع "استمرار سياسة" برجوازية متهافتة أي إمبريالية، أي برجوازية نهبت العالم كله، برجوازية رجعية تضغط البروليتاريا بالتحالف مع الإقطاعيين، فكأنك تقارن الأمتار بالكيلوغرامات.

(*) نقول بالمناسبة أن السيد غاردينين نعت في صحيفة "جيزن" (15) "بالشوفينية الثورية" أي بالشوفينية على كل حال، كون ماركس قد أيد في 1848 الحرب الثورية ضد الشعوب الأوروبية التي أظهرت نفسها عمليًا معادية للثورة، أي "السلاف والروس بخاصة". إن هذا اللوم الموجه إلى ماركس يدل مرة أخرى على انتهازية هذا الاشتراكي-الثوري "اليساري" (أو بالأصح انعدام كل جد عنده). أما نحن الماركسيين، فقد كنا نؤيد دائمًا وسنظل نؤيد أبدًا الحرب الثورية ضد الشعوب المعادية للثورة. مثلاً: إذا انتصرت الاشتراكية في أمريكا أو أوروبا في 1920 وقامت اليابان مع الصين، افتراضاً، وأطلقتا حينذاك بيسماركيهما ضدنا —ولو في الميدان الدبلوماسي بادئ الأمر- فإننا سنؤيد الحرب الهجومية، الثورية، ضدهما. فهل يبدو لك هذا الأمر غريبًا، أيها السيد غاردينين؟ إنك ثوري من طراز روبشين!

ومقارنتك هذه أشبه بمقارنة بين "ممثلي البرجوازية" روبسبيير وغاريبالدي وجيليانوف، و"ممثلي البرجوازية" ميليران وسالاندرا وغوتشكوف. ولا يمكن للمرء أن يكو ماركسيًا ولا يشعر بالاحترام والتقدير العميقين لكبار الثوريين البرجوازيين الذين أولاهم التاريخ العالمي حق الكلام باسم "الأوطان" البرجوازية التي رفعت عشرات الملايين من أبناء الأمم الجديدة إلى مستوى الحياة المتمدنة في غمرة النضال ضد الإقطاعية. ولا يمكن للمرء أن يكون ماركسيًا ولا يزدري سفسطة بليخانوف وكاوتسكي اللذين يتشدقان "بالدفاع عن الوطن" لمناسبة إقدام الإمبرياليين الألمان على خنق بلجيكا أو لمناسبة الصفقة المعقودة بين الإمبرياليين الإنجليز والفرنسيين والروس والإيطاليين لنهب النمسا وتركيا.

وإليكم نظرية "ماركسية" أخرى للاشتراكية- الشوفينية: الاشتراكية تقوم على تطور الرأسمالية السريع؛ وانتصار بلادي يعجل تطور الرأسمالية فيها، وبالتالي، مجيء الاشتراكية، أما هزيمة بلادي، فتؤخر تطورها الاقتصادي، وتؤخر بالتالي مجيء الاشتراكية. إن هذه النظرية الستروفية يروجها بليخانوف عندنا ولنتش والآخرون عند الألمان. ولكن كاوتسكي يجادل ويهجم هذه النظرية الفظة، ويهاجم لنتش الذي يدافع عنها

بصورة سافرة، ويهاجم كونوف الذي يؤيدها بصورة مستورة، ولكنه لا يجادل إلا لمجرد التوفيق بين الاشتراكيين- الشوفينيين من جميع البلدان على أساس نظرية شوفينية أكثر حذاقة ولباقة وأشد جزويتية.

وليس لنا أن نتوقف مطولاً لتحليل هذه النظرية الفظة. لقد صدر مؤلف ستروفه "ملاحظات انتقادية" في عام 1894، وفي مدى عشرين سنة، تعرّف الاشتراكيون- الديمقراطيون الروس جيدًا جدًا على "طريقة" البرجوازيين الروس المتعلمين هذه لتمرير آرائهم ورغائبهم تحت ستار "الماركسية" مطهرة من الروح الثوري. غير أن الستروفية ليست مجرّد نزعة روسية، إنما هي أيضًا، كما تشهد الأحداث الأخيرة ببلاغة فائقة، نزعة يتصف بها نظريو البرجوازية في مختلف البلدان وترمي إلى قتل الماركسية "عن طريق اللطافة"، وخنقها بالمعانقة، بالاعتراف المزعوم "بجميع" الجوانب والعناصر "العلمية فعلاً" في الماركسية، باستثناء جانبها "الدعائي" و"الديماغوجي" والطوبوي البلانكي".

وبتعبير آخر، تقصد هذه النزعة أن تأخذ من الماركسية كل ما هو مقبول بنظر البرجوازية الليبرالية، بما في ذلك النضال من أجل الإصلاحات، والصراع الطبقي (بدون

ديكتاتورية البروليتاريا)، والاعتراف "العام" "بالمثل العليا الاشتراكية"، والاستعاضة عن الرأسمالية "بنظام جديد"، وأن تنبذ "فقط" روح الماركسية الحي، روحها الثوري "فقط".

إن الماركسية هي نظرية الحركة التحررية للبروليتاريا. ولذا كان من المفهوم أنه يترتب على العمال الواعين أن يولوا عملية إحلال الستروفية محل الماركسية انتباهاً كبيرًا جدًا. فإن القوى المحركة لهذه العملية عديدة ومتنوعة. ولن نذكر منها إلا الثلاث الرئيسية:

1- إن تطور العلم يعطي وفرة متزايدة من المواد تثبت أن ماركس على حق. ولذا كان لا بد من محاربته برياء ونفاق، دون مهاجمة أسس الماركسية بصورة سافرة، ولكن مع التظاهر بالاعتراف بها والعمل على تفريغها من محتواها عن طريق المغالطات والسفسطات، وتحويلها إلى "أيقونة" مقدسة، لا تؤذي البرجوازية.

2- إن تطور الانتهازية في صفوف الأحزاب الاشتراكية-الديمقراطية بدعم "تحويل" الماركسية هذا، مع تكييفها لأجل تبرير جميع التنازلات أمام الانتهازية.

3- إن مرحلة الإمبريالية هي مرحلة تقاسم العالم بين الأمم "الكبيرة" المميّزة التي تضطهد جميع الأمم الأخرى. ولا سبيل إلى الريب في أن بعض الفتائت المتساقطة عن هذه الامتيازات وهذا الاضطهاد تؤول إلى بعض فئات البرجوازية الصغيرة والأريستوقراطية وكذلك إلى بيروقراطية الطبقة العاملة. وهذه الفئات التي تشكل أقلية ضئيلة من البروليتاريا والجماهير الشغيلة، تميل إلى "الستروفية" إذ أنها تقدم لها تبريرًا لتحالفها مع برجوازيتـ"ها" القومية ضد الجماهير المضطهدة المظلومة في جميع الأمم. وأننا سنعود إلى هذه النقطة حينما نتحدث عن الأسباب التي أدت إلى إفلاس الأممية.

من أكثر نظريات الاشتراكية- الشوفينية حذاقة وأوفقها تقليدًا بحيث تبدو علمية وأممية، نظرية "الإمبريالية العليا" التي تقدم بها كاوتسكي. وإليكم عرضها الأوضح والأدق والأحدث كما كتبه واضعها بنفسه:

إن تخفيف حركة الحماية في إنجلترا، وتخفيض الرسوم الجمركية في أمريكا، والسعي وراء نزع التسلح، وسرعة هبوط تصدير الرساميل من فرنسا وألمانيا في السنوات الأخيرة التي سبقت الحرب، وأخيرًا، هذا التشابك العالمي الذي تتكاثر عقده على الدوام بين شتى زمر الرأسمال المالي، كل ذلك

حملني على التفكير فيما إذا كان من الممكن أن تقوم بدلاً عن السياسة الإمبريالية الحالية سياسة جديدة، سياسة إمبريالية عليا، تستعيض عن الصراع بين الرساميل المالية الوطنية باستثمار البسيطة استثمارًا مشتركًا يقوم به الرأسمال الموحد على النطاق العالمي. إن هذا الطور الجديد من أطوار الرأسمالية أمر معقول على كل حال. فهل هو ممكن التحقيق؟ لا توجد إلى الآن مقدمات كافية تتيح لنا البت بهذه القضية ("Neue Zeit" العدد 5، 30 نيسان- أبريل- 1915، صفحة 144).

".... من الممكن أن تكون لمجرى الحرب الحالية ومآلها الكلمة الفاصلة بهذا الصدد. فقد تسحق الحرب تمامًا بذور الإمبريالية العليا الضعيفة وذلك بأن تسعر إلى أقصى حد نيران الحقد القومي بين الرأسماليين الماليين أيضًا، وتشدد التسلح والركض وراء، وتجعل من المحتم نشوب حرب عالمية ثانية. وإذ ذاك، يتحقق على مقاييس رهيبة ما تنبأت به في كراسي "طريق السلطة"، وتتفاقم التناقضات الطبقية، كما يتفاقم تلاشي (حرفيًا: "نهاية التصرف، Abwirtschaftung". انهيار) الرأسمالية المعنوي"... (وتجدر الإشارة هنا إلى أن كاوتسكي يقصد بهذا التعبير المصطنع مجرد "العداوة" التي تكنها للرأسمالية

"الفئات الوسطى بين البروليتاريا والرأسمال المالي" أي "المثقفون والبرجوازيون الصغار، وحتى الرأسماليون الصغار") ... "ولكنه من الممكن أن يكون مآل الحرب مغايرًا. فقد تؤدي إلى تقوية بذور الإمبريالية العليا الضعيفة. إن عبرها" (لاحظوا هذا جيدًا!) "قد تعجل بتطور يطول انتظاره أيام السلم. فإذا بلغ الأمر إلى هذه النهاية، إلى تفاهم بين الأمم، إلى نزع التسلح، إلى سلام طويل الأمد، فقد تزول شر الأسباب التي كانت تؤدي قبل الحرب، على مقاييس متنامية، إلى تلاشي الرأسمالية المعنوي". إن هذا الطور الجديد سيحمل، طبعًا، "كوارث جديدة" للبروليتاريا، "قد تكون شرًا" من سابقاتها. ولكنه "من الممكن أن تخلق الإمبريالية العليا" "لفترة من الزمن" "عهدًا من الآمال والتوقعات الجديدة في نطاق الرأسمالية" (صفحة 145).

فكيف يستخلص من هذه "النظرية" تبرير الاشتراكية-الشوفينية؟ على نحو غريب -بالنسبة "للنظري"- أي بالطريقة التالية:

إن الاشتراكيين- الديمقراطيين اليساريين في ألمانيا يؤكدون أن الإمبريالية والحروب التي تولدها الإمبريالية ليست من فعل الصدفة، إنما هي النتائج الحتمي للرأسمالية التي جاءت بسيادة الرأسمال المالي. ولذا كان من الضروري الانتقال إلى

نضال ثوري تخوضه الجماهير، إذ ولت مرحلة التطور السلمي نسبيًا. أما الاشتراكيون- الديمقراطيون "اليمينيون"، فإنهم يعلنون بفظاظة: ما دامت الإمبريالية "ضرورية"، فإنه يترتب علينا أن نكون إمبرياليين، نحن أيضًا. وإذا كاوتسكي، الذي يقوم بدور "الوسط"، يتدخل للتوفيق قائلاً في كراسه: "الدولة القومية والدولة الإمبريالية واتحاد الدول" (نورمبرغ، 1915):

"إن أقصى اليساريين" يريدون أن "يعارضوا" الإمبريالية المحتمة بالاشتراكية، أي أنهم يريدون "ليس فقط الترويج بالاشتراكية الذي نعارض به منذ نصف قرن جميع أشكال السيادة الرأسمالية، بل أيضًا تحقيق الاشتراكية فورًا. قد يبدو هذا جذريًا، ولكنه يمكن أن يدفع جميع الذين لا يؤمنون بتحقيق الاشتراكية عمليًا وفورًا، إلى معسكر الإمبريالية" (صفحة 17، إشارة التأكيد منا).

فعندما يتحدث كاوتسكي عن تحقيق الاشتراكية فورًا، إنما "يحقق" غشًا مستغلاً الظرف التالي وهو أنه لا يمكن التحدث في ألمانيا عن النشاط الثوري، بسبب نظام الرقابة العسكرية على الأخص. وكاوتسكي يعرف تمام المعرفة إن اليساريين يتطلبون من الحزب أن يقوم فورًا بالدعاية

والتحضير للأعمال الثورية، ولا يتطلبون منه مطلقًا "تحقيق الاشتراكية عمليًا وفورًا".

ومن ضرورة الإمبريالية، يخلص اليساريون إلى ضرورة الأعمال الثورية. ولكن كاوتسكي يستغل "نظرية الإمبريالية العليا" لكي يبرر الانتهازيين، ويصور الأمور على نحو يوهم أنهم لم ينضموا قط إلى معسكر البرجوازية، وأنهم "لا يؤمنون" بالاشتراكية الفورية، لأنهم يعتقدون أن "عهدًا" جديدًا من نزع التسلح والسلام الطويل الأمد "قد يطرأ". إن هذه "النظرية" تنحصر في أمر واحد، وواحد فقط وهو أن كاوتسكي يبرر، بأمل مجيء عهد جديد سلمي للرأسمالية، انضمام الانتهازيين والأحزاب الاشتراكية- الديمقراطية الرسمية إلى البرجوازية، وتخليهم عن التكتيك الثوري (أي البروليتاري) خلال المرحلة الحالية العاصفة، رغم البيانات المهيبة المدوية الواردة في قرار بال!

ثم لاحظوا أن كاوتسكي لا يعلن هنا: أن الطور الجديد ينجم ويجب أن ينجم عن هذه الظروف والأوضاع أو تلك، وليس هذا وحسب، بل أنه، على العكس، يعلن بكل جلاء: إني لا أستطيع أيضًا أن أبت فيما إذا كان هذا الطور الجديد "ممكن التحقيق" أم لا. وبالفعل، خلوا "لليول" إلى العهد الجديد التي أشار إليها كاوتسكي.

فإن ما يثير الدهشة هو أن كاوتسكي يصنّف في عداد الوقائع الاقتصادية "الميل إلى نزع السلاح"! وهذا يعني الاختباء في ظل أحاديث وأحلام برجوازية صغيرة ساذجة تهربًا من الوقائع الثابتة التي لا مراء فيها والتي لا تتفق مطلقًا مع نظرية تخفيف التناقضات. فإن "الإمبريالية العليا" لكاوتسكي -وللمناسبة نقول أن هذا التعبير لا يعبّر مطلقًا عما يريده صاحبه- إنما تعني ثلم حدة تناقضات الرأسمالية بدرجة هائلة. ويقال لنا: "تخفيف حركة الحماية في إنجلترا وأميركا". فهل في هذا الأمر أي نزوع إلى عهد جديد؟ لقد ضعفت حركة الحماية في أميركا بعد أن بلغت الذروة، ولكنها ما تزال قائمة شأنها شأن الامتيازات والتعريفات المفضلة التي تتمتع بها إنجلترا في المستعمرات الإنجليزية. لنتذكر على ما يرتكز حلول عهد الرأسمالية الحالي، الإمبريالي، محل عهدها السابق، "السلمي"؛ إنه يرتكز على واقعين: أولاً أن حرية المزاحمة قد أخلت المكان لاتحادات الرأسماليين الاحتكارية؛ ثانيًا، إن الكرة الأرضية قد تم اقتسامها بكليتها. وواضح أن هذين الواقعين (والعاملين) يتسمان بأهمية عالمية فعلاً: فإن التجارة الحرة والمزاحمة السلمية كانتا ممكنتين وضروريتين طالما كان الرأسمال يستطيع

أن يوسع مستعمراته دون أي عائق وأن يستولي في أفريقيا وغيرها من القارات على أراض غير محتلة؛ علمًا بأن تمركز الرأسمال كان ضعيفًا، ولم تكن ثمة مشروعات احتكارية، أي ضخمة إلى حد أن تسيطر على مجمل فرع صناعي معنى.

غير أن ظهور مثل هذه المشروعات الاحتكارية وتناميها (أغلب الظن أن هذه العملية لم تتوقف لا في إنجلترا ولا في أميركا؟ ومن المشكوك فيه أن كاوتسكي نفسه سيتجرأ على إنكار أن الحرب قد عجّلت بها وزادت من تفاقمها) يجعلان المزاحمة الحرة القديمة أمرًا مستحيلاً، إذ يقوضان أساسها، في حين أن اقتسام الكرة الأرضية يجبر على الانتقال من التوسع السلمي إلى النضال المسلح في سبيل إعادة اقتسام المستعمرات ومناطق النفوذ. وأنه لمن الحمق الظن أن تخفيف حركة الحماية في بلدين من البلدان يستطيع أن يغير شيئًا هنا.

ثم، انخفاض تصدير الرساميل من بلدين اثنين خلال بضعة أعوام. هذان البلدان، فرنسا وألمانيا، كان يملك كل منهما في الخارج، وفقًا لإحصاءات هارمس مثلاً، عام 1912، راسمالاً قدره زهاء 35 مليار مارك (أي زهاء 17

مليار روبيل)، في حين أن إنجلترا كانت تملك الضعف وحدها[*].

إن نمو تصدير الرساميل لم يكن قط ولم يكن بوسعه أن يكون منتظمًا في ظل النظام الرأسمالي. ولا يتمكن كاوتسكي من الزعم بأن تراكم الرأسمال قد تقلص أو بأن قدرة السوق الداخلي قد طرأ عليها أي تغير جدي بفضل تحسن محسوس في وضع الجماهير، مثلاً. ففي هذه الأحوال، لا يمكن مطلقًا أن نخلص إلى القول بمجيء عهد جديد لمجرد أن تصدير الرساميل قد هبط في هذين البلدين خلال بضع سنوات.

---

[*] راجعوا:

- Bernhard Harms. "Probleme der Weltwirtshaft", Jena.

(برنهارد هارمس. "قضايا الاقتصاد العالمي". ينا، 1912).

- George Paish. "Great Britain's Capital Investments in Colonies etc. 1912

- (جورج بيش. "توظيفات الرساميل الإنجليزية في المستعمرات" في "مجلة جمعية الإحصاء الملكية"، المجلد 74، 1910-1911، صفحة 167.). وقد قدر لويد جورج في خطاب ألقاه في مطلع 1915 الرساميل الإنجليزية الموظفة في الخارج بأربعة مليارات جنيه إسترليني أي ما يعادل زهاء 80 مليار مارك.

"التشابك العالمي الذي تتكاثر عقده على الدوام بين زمر الرأسمال المالي". هذه هي النزعة الوحيدة العامة فعلاً، والتي لا جدال فيها فعلاً، وهي ليست نزعة بضع سنوات ولا نزعة بلدين، بل نزعة العالم كله، والرأسمالية بكليتها. ولكن لماذا ينبغي أن ينجم عنها الميل إلى نزع السلاح، لا الميل إلى التسلح، كما هي الحال حتى الآن؟ لنأخذ أية شركة عالمية لإنتاج المدافع (ولإنتاج العتاد الحربي بوجه عام)، كشركة ارمسترونغ مثلاً. فقد نشرت مجلة "أيكونوميست"[16] الإنجليزية مؤخرًا (أول أيار (مايو) 1915) أن أرباح هذه الشركة ارتفعت من 606000 جنيه إسترليني (زهاء 6 ملايين روبل) في 1905-1906 إلى 856000 في 1913 وإلى 940000 (9 ملايين روبل) في 1914.

إن تشابك الرأسمال المالي كبير جدًا هنا وما ينفك في تقدّم ونمو. فالرأسماليون الألمان "يشتركون في أعمال شركة إنجليزية؛ والشركات الإنجليزية تبني غواصات للنمسا، الخ.... والرأسمال المتشابك على النطاق العالمي يجني أرباحًا طائلة من التسلح والحروب. فإذا خلصنا إلى القول بالميل الاقتصادي إلى نزع السلاح لكون شتى الرساميل الوطنية متجمعة ومتشابكة في كل واحد على الصعيد العالمي، فكأننا نحل التمنيات الطيبة البرجوازية الصغيرة حول تخفيف التناقضات الطبقية، محل تفاقم هذه التناقضات الفعلي.

5

يتحدث كاوتسكي عن "عِبَر" الحرب بتفاهة بالغة إذ يصور هذه العِبَر بصورة رعب أخلاقي من كوارث الحرب وويلاتها. فإليكم مثلاً محاكمته في كراسة "الدولة القومية" الخ...:

"لا سبيل إلى الشك مطلقًا في أنه توجد فئات لها مصلحة ملحة للغاية في السلام العالمي وفي نزع السلاح، وليس ثمة حاجة إلى تقديم الدليل على هذه الحقيقة. فإن البرجوازيين الصغار والفلاحين الصغار وحتى العديد من الرأسماليين والمثقفين لا تربطهم بالإمبريالية مصالح تفوق الأضرار التي تلحقها بهم الحرب والتسلح" (صفحة 21)

لقد كتب هذا في شباط (فبراير) 1915! بيد أن الوقائع تشهد على انضمام جميع الطبقات المالكة، بمن فيها البرجوزيون الصغار و"المثقفون" إلى الإمبرياليين، في حين أن كاوتسكي، مثله مثل "الرجل المعلَّب"[17]، يحتجب عن الوقائع بغرور بالغ وراء كلمات معسولة. وهو يحكم على مصالح البرجوازية الصغيرة، ليس حسب سلوكها، بل حسب أقوال بعض البرجوازيين الصغار، رغم أن أفعالهم تكذب

أقوالهم في كل لحظة. وهذا كما لو حكمنا على "مصالح" البرجوازية عمومًا لا حسب أعمالها، بل حسب الخطب المفعمة حبًا التي يلقيها الكهان البرجوازيون ويقسمون فيها إيمانًا مغلظة بأن النظام الحالي مشبع بالمثال الأعلى المسيحي.

إن كاوتسكي يطبق الماركسية بشكل يفرغها به من كل محتواها فلا يبقى سوى كلمة "المصلحة" بمعنى ما روحاني، فائق الطبيعة، إذ أن المقصود هنا ليس الاقتصاد الواقعي، بل تمنيات بريئة حول الخير العام.

أما الماركسية فإنها تحكم على "المصالح" انطلاقًا من الصراع الطبقي والتناقضات الطبقية التي تبرز عبر الملايين من وقائع الحياة اليومية. فإن البرجوازية الصغيرة تحلم بتخفيف التناقضات وتثرثر حوله متقدمة "بحجة" أن تفاقمها يسفر عن "عواقب وخيمة".

إن الإمبريالية إنما هي خضوع جميع فئات الطبقات المالكة للرأسمال المالي وتقاسم العالم بين خمس دول "كبرى" أو ست، ويشترك اليوم معظمها في الحرب. وتقاسم العالم بين الدول الكبرى إنما يعني أن جميع فئاتها المالكة لها مصلحة في امتلاك المستعمرات ومناطق النفوذ، وفي اضطهاد الأمم الأجنبية، وفي المناصب الرابحة على تباين مكاسبها، وفي

الامتيازات النابعة من مجرد الانتساب إلى دولة "كبرى" وإلى أمة مضطهدة ظالمة.(*)

فمن المستحيل العيش حسب النمط القديم، في جو هادئ، سلمي نسبيًا، هو جو الرأسمالية التي تتطور بهدوء وتنمو بإطراد إلى بلدان جديدة، لأن عهدًا جديدًا قد حل.

(*) يذكر ارنست شولتزه أن مبلغ الأوراق المالية في العالم كله كان يقدر قبيل عام 1915 بـ 732 مليار فرنك، بما فيها قروض الدولة والبلديات والتأمينات (الرهونات) وأسهم الشركات التجارية والصناعية الخ .... ومن هذا المبلغ، كانت إنجلترا تملك 130 مليار فرنك، والولايات المتحدة الأمريكية 115، وفرنسا 100، وألمانيا 75، أي أن هذه الدول الكبرى الأربع كانت تملك معًا 420 مليار فرنك أو أكثر من نصف المبلغ الإجمالي. وهذا يتيح لنا أن نقدر مدى فوائد وامتيازات الأمم الاستعمارية المتقدمة التي سبقت الشعوب الأخرى، وتضطهدها وتنهبها.

- (Dr. Ernst Schultz. "Das Franzosische Kapital in Russian" in "Finanz – Archiv. Berlin, 1915, Jahrg. 32. S. 127).

- شولتزه، "الرأسمال الفرنسي في روسيا"، في الأرشيف المالي"، برلين 1915، السنة 32، صفحة 127.). إن "الدفاع عن الوطن" هو بالنسبة لأمم الدول الكبرى الدفاع عن الحق في الغنيمة الناجمة عن نهب الأمم الأجنبية. أما في روسيا، كما هو معروف، فإن الإمبريالية الرأسمالية فيها أضعف، ولكن الإمبريالية العسكرية- الإقطاعية هي، على العكس، أقوى.

فالرأسمال المالي يزيح وسيزيح البلد المعني من صف الدول الكبرى، وسينتزع منه مستعمراته ومناطق نفوذه (كما تهدد بفعله ألمانيا، التي انطلقت تحارب إنجلترا)؛ وسينتزع من البرجوازية الصغيرة الامتيازات والإيرادات الثانوية التي تتمتع بها بحكم انتسابها إلى "أمة الدولة الكبرى". وهذا أمر تثبت الحرب صحته. وهذا ما أدى إليه فعلاً تفاقم التناحرات التي اعترف به الجميع منذ زمن بعيد، بمن فيهم كاوتسكي نفسه في كراسة "طريق السلطة".

والآن، وقد غدا النضال المسلح في سبيل امتيازات أمة الدول الكبرى أمرًا واقعًا، راح كاوتسكي يقنع الرأسماليين وصغار البرجوازيين بأن الحرب شيء فظيع بينما نزع السلاح شيء حسن، تمامًا بنفس الطريقة وتمامًا بنفس النتائج التي يقنع بها الكاهن المسيحي من على منبره الرأسماليين بأن حب القريب من تعاليم الله، وطموح في النفس، وقانون أخلاقي من قوانين المدنية. وما يسميه كاوتسكي بالميول الاقتصادية نحو "الإمبريالية العليا" إنما هو في الواقع وعظ برجوازي صغير، هدفه إقناع الماليين بالامتناع عن فعل الشر.

تصدير الرأسمال؟ ولكنه يُصَدَّرُ من الرساميل إلى البلدان المستقلة، كالولايات المتحدة الأمريكية مثلاً، أكثر مما يصدر

إلى المستعمرات. الاستيلاء على المستعمرات؟ ولكنه استولى عليها كلها، وكلها تقريبًا تطمح إلى التحرر: "قد لا تبقى الهند في عداد الممتلكات الإنجليزية، غير أنها لن تقع أبدًا، بوصفها إمبراطورية كاملة، في سيطرة أجنبية أخرى" (صفحة 49 من الكراس المذكور آنفًا).

"إن أي جهد تبذلة دولة رأسمالية صناعية لاكتساب إمبراطورية من المستعمرات تجعل هذه الدولة مستقلة عن الخارج فيما يخص تموينها بالمواد الأولية، لا بدّ وأن يوحِّد ضد هذه الدولة جميع الدول الرأسمالية الأخرى، لا بد وأن يجرها إلى حروب منهكة لا نهاية لها، دون أن يقربها من هدفها. إن هذه السياسة من شأنها أن تكون آمن سبيل لدفع كل الحياة الاقتصادية في الدولة إلى هاوية الإفلاس" (ص 72-73)

أليس في هذا القول محاولة مبتذلة لإقناع الماليين بالتخلي عن الإمبريالية؟ وأن تخوّف الرأسماليين بالإفلاس فكأنك تنصح رجال البورصة بعدم اللعب في البورصة بحجة أن "كثيرين يخسرون كل ثروتهم من جراء ذلك". ولكن الرأسمال يربح من إفلاس الرأسمالي المنافس والأمة المنافسة إذ يتمركز أكثر من ذي قبل. ولذا، فكلما تفاقمت المنافسة الاقتصادية

و"اشتدت"، أي كلما تفاقمت الدفعة الاقتصادية نحو الإفلاس و"اشتدت"، قوى سعي الرأسماليين إلى أن يقرنوا بها الدفعة العسكرية للتعجيل في إفلاس المنافس.

وكلما قلّ عدد البلدان التي يمكن تصدير الرأسمال إليها بنفس الفوائد التي يدرها تصديره إلى المستعمرات والبلدان التابعة كتركيا مثلاً، -إذ أن المالي يبتز في هذه الحالات ربحًا مثلثًا بالنسبة لما يربحه من تصدير الرأسمال إلى بلد حر، مستقل، متمدن كالولايات المتحدة الأمريكية،- كلما احتدم النضال في سبيل إخضاع تركيا والصين وغيرهما من البلدان وفي سبيل تقاسمها. هذا ما تقوله النظرية الاقتصادية عن عهد الرأسمال المالي والإمبريالية. وهذا ما تقوله الوقائع أيضًا. بيد أو كاوتسكي يحول كل هذا إلى "موعظة أخلاقية" مبتذلة، تافهة؛ فهو يقول: لا داعي للتهيج وبالأحرى لشن الحرب من أجل اقتسام تركيا أو من أجل الاستيلاء على الهند، إذ "أن هذا، في كل حال، لن يدوم طويلاً" ثم من الأفضل تطوير الرأسمالية بصورة سلمية.. وبديهي أنه من الأفضل أيضًا تطوير الرأسمالية وتوسيع السوق عن طريق زيادة الأجور، وهذا أمر "معقول" تمامًا، ووعظ الماليين بهذا المعنى هو خير موضوع لموعظة كاهن... إن كاوتسكي الطيب

القلب كاد ينجح في إقناع الماليين الألمان بأنه لا يجدر بهم أن يحاربوا إنجلترا في سبيل المستعمرات، إذ أن هذه المستعمرات ستتحرر قريبًا جدًا بدون هذا!.

إن تنامي صادرات إنجلترا إلى مصر ومستورداتها منها من 1872 إلى 1912 كان أبطأ من تنامي مجموع صادرات إنجلترا ومستورداتها. فما هي العبرة التي يستخلصها "الماركسي" كاوتسكي من هذا الواقع؟ أنه يقول: "ليس لدينا من داع يحملنا على الظن أن التجارة مع مصر بدون احتلالها عسكريًا، تنمو بصورة أبطأ تحت تأثير العوامل الاقتصادية وحدها" (ص 72). "إن رغبات الرأسمال في التوسع" يمكن بلوغها بأفضل شكل عن طريق الديمقراطية السلمية، لا عن طريق القسر الإمبريالية" (ص70).

فيا له من تحليل جدي، علمي، "ماركسي" بليغ! لقد "أصلح" كاوتسكي بروعة هذا التاريخ غير الحكيم، "فأثبت" أن الإنجليز لم يكونوا قط بحاجة إلى انتزاع مصر من الفرنسيين، وأن رجال المال الألمان لم تكن لهم قط أية مصلحة في شن الحرب وتنظيم الحملة التركية واللجوء إلى غير ذلك من التدابير لطرد الإنجليز من مصر!

كل هذا مجرد سوء فهم، لا أكثر؛ فالإنجليز بكل بساطة، لما يدركوا أنه "من الأفضل" الامتناع عن وسائل العنف إزاء مصر والانتقال (بغية توسيع تصدير الرساميل حسب كاوتسكي!) إلى "الديمقراطية السلمية"...

"إن الظن بأن حرية التجارة تقضي كليًا على التناقضات الاقتصادية التي تولدها الرأسمالية إنما كان، بالطبع، ضربًا من أوهام أنصار التجارة الحرة (Free - Traders الناشر) البرجوازيين. فليس بوسع حرية التجارة والديمقراطية أن تقضيا على هذه التناقضات. بيد أن من مصلحتنا، كل هذه المصلحة، أن تصفي هذه التناقضات بأشكال من النضال تفرض على الجماهير الكادحة حدًا أدنى من التضحيات والآلام" (صفحة 73).

عفوك يا رب! إرحمنا يا رب! لقد تساءل لاسال: من هو التافه الضيق الأفق؟ وأجاب على تساؤله بحكمة الشاعر المعروفة: "التافه الضيق الأفق أشبه بمصران فارغ، ولكنه مفعم خوفًا وأملاً بأن يشمله الله برأفته!"[18].

لقد حقّر كاوتسكي الماركسية إلى أقصى حد وتحول هو نفسه إلى كاهن حقيقي. فالكاهن يقنع الرأسماليين بالانتقال إلى الديمقراطية السلمية ويسمي مسعاه هذا دياليكتيكًا: فإذا

كان ثمة في البداية تجارة حرة عقبتها الاحتكارات والإمبريالية؛ فلِمَ لا يكون ثمة "إمبريالية عليا" تعقبها التجارة الحرة من جديد؟ والكاهن يعزى الجماهير المضطهَدة واصفًا لها نعَم هذه "الإمبريالية العليا"، مع أنه لا يستطيع حتى أن يقول إذا كانت هذه الإمبريالية "ممكنة التحقيق" أم لا! فالذين كانوا يدافعون عن الدين بحجة أنه يعزّي الإنسان، إنما بيَّن لهم فورباخ بحق ما تتسم به هذه التعزية من طابع رجعي، فلقد قال: إن من يعزي العبد، بدلاً من أن يحثه على التمرد ضد العبودية، لا يفعل غير مساعدة مالكي العبيد.

إن جميع الطبقات الظالمة تحتاج، من أجل الحفاظ على سيادتها، إلى وظيفتين اجتماعيتين، هما وظيفة الجلاد ووظيفة الكاهن. فالجلاد يترتب عليه أن يقمع احتجاج المضطهَدين واستنكارهم. أما الكاهن فيترتب عليه أن يعزّي المضطهَدين وأن يصوِّر لهم آفاق (من الأسهل خصوصًا رسم هذه الآفاق مع عدم الضمان بأنها "ممكنة التحقيق"....) التقليل من المصائب والتضحيات مع بقاء السيطرة الطبقية، وأن يوفق التالي بينهم وبين هذه السيطرة ويصرفهم عن العمل الثوري ويقوض معنوياتهم الثورية ويحطم همتهم الثورية. ولقد جعل

كاوتسكي من الماركسية نظرية معادية للثورة في منتهى السخف والتنفير، وموعظة كهنوتية في غاية القذارة.

ففي 1909، اعترف كاوتسكي في كراسه "طريق السلطة" بتفاقم تناقضات الرأسمالية واقتراب مرحلة من الحروب والثورات، "مرحلة ثورية" جديدة - الأمر الذي لم يفنّده أحد ولا يمكن تفنيده.وقد قال أنه لا يمكن أن تقع ثورة "سابقة لأوانها" ووصم "بالخيانة المباشرة لقضيتنا رفض حسبان الحساب لإمكان الانتصار في الثورة، رغم أنه لا يمكن، قبل شن النضال، إنكار إمكان الهزيمة أيضًا.

ثم جاءت الحرب، وازدادت التناقضات حدة وتفاقمًا، وبلغ شقاء الجماهير مقاييس هائلة. وها هي الحرب تطول وتمتد، وما ينفك ميدانها في اتساع. وكاوتسكي يكتب الكراس بعد الكراس، ويعمل طائعًا وفقًا لأوامر الرقيب، ولا يورد المعلومات المتعلقة بنهب الأراضي وفظائع الحرب، والأرباح الفاحشة التي يبتزها المتعهدون الحربيون، وغلاء المعيشة، و"العبودية العسكرية" المفروضة على العمال المجنَّدين؛ بل أنه، بالمقابل، يعزّي ويعزّي البروليتاريا، -يعزّيها بمثال الحروب التي كانت البرجوازية فيها ثورية أو تقدمية، والتي كان "ماركس نفسه" يرغب أثناءها في انتصار هذه البرجوازية أو تلك؛ ويعزّيها بصفوف وأعمدة من

الأرقام يقصد بها تقديم الدليل على "إمكان" وجود رأسمالية بلا مستعمرات ولا نهب، ولا حروب ولا أسلحة، ويبغي منها توفير البرهان على أفضلية "الديمقراطية السلمية". ولا يجرؤ كاوتسكي على أن ينفي تفاقم شقاء الجماهير ونشوء وضع ثوري في الواقع أمام أنظارنا (ممنوع التحدث عنه! فالمراقبة لا تسمح بذلك...)، وإذا هو يتزلف إلى البرجوازية والانتهازيين، راسمًا "أفق" (وهو لا يضمن أن يكون هذا الأفق "ممكن التحقيق") هذه الأشكال النضالية في المرحلة الجديدة، حيث "ستقل التضحيات والآلام".... لقد كان فرانز مهرينغ وروزا لوكسمبورغ على صواب تام حين نعتا كاوتسكي من جرّاء ذلك بأنه مومس (Madchen fur alle).

* * *

في شهر آب (أغسطس) 1905، كان في روسيا وضع ثوري. فوعد القيصر بدوما بوليغين من أجل "تعزية" الجماهير الهائجة[19]. من الممكن أن نسمي نظام البرلمان الاستشاري الذي اقترحه بوليغين "الحكم المطلق الأعلى" إذا كان من الممكن أن نطلق اسم "الإمبريالية العليا" على تخلي رجال المال على التسلح واتفاقهم على "سلام طويل الأمد". لنفترض لحظة أن يهبّ غدًا مئة من أكبر رجال المال في العالم، ممن

"يتشابكون" في مئات من المشروعات الضخمة، ويعدوا الشعوب بأنهم سيؤيدون نزع السلاح بعد الحرب (وأننا لنقبل لحظة هذه الفرضية لمجرد أن نستقصي الاستنتاجات السياسية التي تنجم عن نظرية كاوتسكي البلهاء هذه). فحتى في هذه الحالة، يكون من باب الخيانة السافرة بحق البروليتاريا أن ننصحها بالإعراض عن العمل الثوري الذي بدونه لا تكون جميع الوعود وجميع الآفاق الطيبة سوى وهم وسراب.

إن الحرب لم تجلب لطبقة الرأسماليين الأرباح الفاحشة، والآفاق الرائعة للقيام بعمليات نهب جديدة (تركيا، الصين، الخ...)، والطلبيات الجديدة المقدرة بالمليارات، والقروض الجديدة بفوائد مئوية مرفوعة وحسب، بل جلبت أيضًا لطبقة الرأسماليين مغانم سياسية أكبر بشقها صفوف البروليتاريا وإفسادها.

وكاوتسكي يسهم في هذا الإفساد؛ فهو يكرس هذا الانشقاق على الصعيد العالمي في صفوف البروليتاريين المناضلين، وذلك باسم الوحدة مع انتهازيي أمت (بهم)، مع اضراب زوديكوم! ومع ذلك، نجد أناسًا لا يدركون أن شعار الوحدة الذي نادت به الأحزاب القديمة إنما يعني "وحدة" البروليتاريا القومية مع برجوازيتها القومية وانشقاق البروليتاريا من مختلف الأمم...

6

كنت كتبت ما سبق حين صدر العدد التاسع من "Neue Zeit" في 28 أيار (مايو)، وقد تضمن محاكمة كاوتسكي الأخيرة حول "إفلاس الاشتراكية- الديمقراطية" (الفقرة 7 من ردّه على كونوف). فإليكم كيف جمع كاوتسكي بنفسه جميع السفسطات القديمة وسفسطة واحدة جديدة حول الدفاع عن الاشتراكية- الشوفينية وأوجزها كما يلي:

"إنه لمجرد نقض للحقيقة الزعم بان الحرب حرب إمبريالية صرف، وأنها حين انفجرت لم يكن ثمة سوى حل من اثنين: إما الإمبريالية وإما الاشتراكية، وأن الأحزاب الاشتراكية والجماهير البروليتارية في ألمانيا وفي فرنسا، وفي كثير من الأنحاء في إنجلترا أيضًا، قد ألقت بنفسها في أحضان الإمبريالية دون تفكير ولا روية، لمجرد دعوة حفنة من البرلمانيين، وخانت الاشتراكية، وسببت بالتالي إفلاسًا لا سابق له في التاريخ".

سفسطة جديدة وخداع جديد للعمال: فالحرب من فضلكم، ليست حربًا إمبريالية "صرفًا"!

وفيما يتعلق بطابع الحرب الحالية ومغزاها، يتردد كاوتسكي بصورة تبعث على الدهشة؛ ونضيف قائلين أن هذا الزعيم الحزبي يتهرب من بيانات مؤتمري بال وخيمنيتز الدقيقة، الصريحة، بحذر لص يتجنب مكان سرقته الأخيرة. لقد أكد كاوتسكي، في كراسة: "الدولة القومية، الخ"، المكتوب في شباط (فبراير) 1915، إن الحرب "هي، مع ذلك، وفي آخر تحليل، حرب إمبريالية" (صفحة 64). وها هو الآن يبدي تحفظًا جديدًا: فهي ليست إمبريالية صرفًا؛ ولكن، يا ترى، ما هي إذن أيضًا؟

يبدو أنها حرب وطنية أيضًا! فإن كاوتسكي يخلص إلى هذه الفظاعة بواسطة هذا الدياليكتيك المزعوم، المسمى الدياليكتيك "البليخانوفي". وإليكم ما يقول:

"إن الحرب الحالية ليست وليدة الإمبريالية وحسب، بل وليدة الثورة الروسية أيضًا". وقد سبق لكاوتسكي نفسه أن توقع في عام 1904 أن تبعث الثورة الروسية الحركة السلافية[20] بشكل جديد وأنه "لا بد لروسيا الديمقراطية أن تذكي حتمًا وبقوة مطامح السلافيين النمساويين والتركيين إلى تحقيق استقلالهم الوطني... إن المسألة البولونية ستصبح حينذاك مسألة حادة أيضًا... وستنفسخ النمسا حينذاك

لأن الطوق الحديدي الذي لا يزال يضم العناصر المتنابذة سيتحطم مع انهيار القيصرية" (ويقتبس كاوتسكي نفسه هذه الفقرة الأخيرة من أحد مقالاته الصادرة في عام 1904)... "إن الثورة الروسية.. قد دفعت مطامح الشرق القومية دفعة جبارة جديدة، وأضافت القضايا الأسيوية إلى القضايا الأوروبية، أن جميع هذه القضايا تبرز بقوة خلال الحرب الحالية وتكتسب أهمية حاسمة للغاية بالنسبة لمعنويات الجماهير الشعبية، بمن فيها الجماهير البروليتارية، في حين أن النزعات الإمبريالية هي التي تتغلب بين الطبقات السائدة" (صفحة 273، حرف التأكيد لنا).

ذلك نموذج آخر من طريقة تحفيز الماركسية! لما كانت "روسيا الديمقراطية" من شأنها أن تذكي طموح أمم أوروبا الشرقية إلى الحرية (هذا أمر لا جدال فيه)، لذلك فإن الحرب الحالية التي لا تحرر أمة واحدة، بل تستعيد أممًا عديدة، أيًا كان مآلها، ليست حربًا إمبريالية "صرفًا". ولما كان "انهيار القيصرية" من شأنه أن يؤدي إلى تفسخ النمسا بسبب من الطابع اللاديمقراطي الذي يتسم به تركيبها القومي، لذلك فإن القيصرية المعادية للثورة، والتي توطدت مؤقتًا بنهب النمسا وبفرض اضطهاد أشد مما سبق على أمم النمسا،

أضفت على "الحرب الحالية" لا طابعًا إمبرياليًا صرفًا، بل طابعًا وطنيًا إلى حد ما.

ولما كانت "الطبقات السائدة" تخدع البرجوازيين الصغار الغلاظ والفلاحين المظلومين، بخرافات حول الأهداف الوطنية من الحرب الإمبريالية، لذلك فإن رجل العلم، ومرجعًا من مراجع "الماركسية"، وممثلاً من ممثلي الأممية الثانية، يحق له أن يوفّق بين الجماهير وبين هذا الخداع وذلك بواسطة "الصيغة" التالية:

إن نزعات الطبقات السائدة نزعات إمبريالية، في حين أن نزعات "الشعب" والجماهير البروليتارية نزعات "وطنية".

وهكذا يتحول الديالكتيك إلى أحط أنواع السفسطة وأخسّها!

إن العنصر الوطني في الحرب الحالية إنما تمثله فقط حرب بلاد الصرب ضد النمسا (وهو ما أشار إليه قرار المؤتمر الذي عقده حزبنا في برن[*](21)). ففي بلاد الصرب وبين الصرب

---

[*] راجعوا: لينين "مؤتمر فروع حزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي في روسيا في الخارج".

فقط توجد حركة تحرر وطني تدوم سنوات طويلة وتضم الملايين من "الجماهير الشعبية"، و"استمرارها هو حرب بلاد الصرب ضد النمسا.

فلو أن هذه الحرب كانت منفردة، أي لو أنها لم تكن مرتبطة بالحرب الأوروبية العامة، وبما تبيته إنجلترا وروسيا وغيرهما من الدول من المقاصد المغرضة واللصوصية، لترتب على جميع الاشتراكيين أن يتمنوا نجاح البرجوازية الصربية – هذا هو الاستنتاج الوحيد الصحيح والضروري تمامًا الذي يجب استخلاصه من العنصر الوطني في الحرب الحالية. ولكن السفسطائي كاوتسكي الذي يعمل حاليًا في خدمة البرجوزيين ورجال الدين والجنرالات النمساويين، لا يستخلص هذا الاستنتاج بالضبط!

لنتابع. إن ديالكتيك ماركس، وهو أرقى شكل للطريقة التطورية العلمية، إنما يحرّم على وجه الضبط دراسة الموضوع دراسة منفردة، معزولة، أي وحيدة الجانب ومشوهة تشويهًا فظيعًا. فإن العنصر الوطني في الحرب الصربية– النمساوية ليس له، لا يمكن أن يكون له، أي شأن جدّي في الحرب الأوروبية العامة. فإذا انتصرت ألمانيا خنقت بلجيكا، وقسمًا من بولونيا، وربما قسمًا من فرنسا، الخ... وإذا تغلبت روسيا

خنقت غاليسيا، وقسمًا من بولونيا أيضًا، وأرمينيا، الخ.. وإذا كانت النتيجة "المعادلة"، دام الاضطهاد القومي السابق. أما بالنسبة لبلاد الصرب، أي بالنسبة لزهاء واحد بالمائة من المشتركين في الحرب الحالية، فإن هذه الحرب هي "استمرار لسياسة" حركة التحرر الرجوازية.

أما بالنسبة لـ 99 بالمائة من المشتركين في الحرب فإنها تعتبر استمرارًا لسياسة البرجوازية الإمبريالية أي البرجوازية المتهافتة، القادرة على إفساد الأمم، لا على تحريرها. فإن دول "الوفاق الثلاثي"، "بتحريرها" بلاد الصرب، إنما تبيع مصالح الحرية الصربية للإمبريالية الإيطالية مقابل تأييدها لها في نهب النمسا.

كل ذلك معروف للجميع، ولكن كاوتسكي يشوهه بلا حياء لكي يبرر الانتهازيين. فالظواهر "الصرف" غير موجودة ولا يمكن أن توجد لا في الطبيعة ولا في المجتمع. وهذا ما يعلمنا إياه الدياليكتيك الماركسي الذي يوضح لنا أن مفهوم الأمور الصرف إنما ينم عن بعض الضيق في المعرفة الإنسانية وعن طابعها الوحيد الجانب بحيث لا تشمل موضوعها إلى النهاية، وفي كل تعقده. فليس ثمة في العالم ولا يمكن أن يكون ثمة رأسمالية "صرف"، ولكنه توجد دائمًا رأسمالية

مشوبة بعنصر إقطاعي أو عنصر برجوازي صغير أو بشيء آخر أيضًا. ولهذا كان من يذكر بأن الحرب ليست حربًا إمبريالية "صرفًا"، -في حين أن المقصود هو خداع "الجماهير الشعبية" خداعًا فاضحًا من جانب الإمبرياليين الذين يسترون، قصدًا وعمدًا، أهداف النهب الصرح وراء جمل وتعابير "وطنية" طنانة- إنما هو مدّع غليظ غاية في الغلاظة أو مماحك ودجّال. كل ما في الأمر أن كاوتسكي يؤيد خداع الشعب من جانب الإمبرياليين حين يقول أن القضايا الوطنية هي التي "تتسم بأهمية حاسمة بالنسبة للجماهير الشعبية، بما فيها الجماهير البروليتارية"، في حين "أن النزعات الإمبريالية" هي الحاسمة بالنسبة للطبقات السائدة (صفحة 273)، وحين "يدعم" هذا القول باستشهاد ديالكتيكي مزعوم "بالواقع المتنوع إلى ما لا نهاية" (صفحة 274).

لا ريب مطلقًا في أن الواقع متنوع إلى ما لا نهاية، وتلك حقيقة مقدسة! ولكنه لا سبيل إلى الريب أيضًا في أن هذا التنوع اللامتناهي ينطوي على تيارين رئيسيين جذريين هما أولاً، أن مضمون الحرب الموضوعي هو "استمرار لسياسة" الإمبريالية أي لنهب الأمم الأخرى من قبل البرجوازية المتهافتة في "الدول الكبرى" (ومن قبل حكومات هذه الدول)، وثانيًا،

أن الأيديولوجية السائدة "الذاتية" إنما هي مجرّد تعابير وجمل "وطنية" تذاع وتردد بغية استغفال الجماهير.

لقد سبق لنا أن بحثنا السفسطة القديمة التي طلع بها كاوتسكي والتي يرددها المرة تلو المرة زاعمًا أن "اليساريين" قد عرضوا الوضع بصورة توهم أنه كان هناك مخرج من اثنين "في حال نشوب الحرب": إما الإمبريالية وإما الاشتراكية. ولكن هذا الزعم هو حيلة وقحة، لأن كاوتسكي يعلم تمام العلم أن اليساريين قد وضعوا بديلاً آخر: إما انضمام الحزب إلى النهب والخداع الإمبرياليين، وإما الدعاية والتحضير للأعمال الثورية. وكاوتسكي يعلم أيضًا أن الرقابة وحدها تحميه من خطر إقدام "اليساريين" في ألمانيا على فضح خرافته الخرقاء التي يروّج لها بدافع استخذائه أمام زوديكوم وأضرابه.

أما فيما يتعلق بالعلاقات بين "الجماهير البروليتارية" و"الحفنة من البرلمانيين"، فإن كاوتسكي يدلي هنا باعتراض مطروق ومكرر ألوف المرات؛ فهو يقول:

"لندع الألمان جانبًا كي لا ندافع عن أنفسنا. ولكن من يود أن يؤكد بصورة جدية أناسًا من أمثال فايان وغيد وهايندمان وبليخانوف، قد غدوا في يوم واحد إمبرياليين وخانوا الاشتراكية؟ لندع جانبًا البرلمانيين و"المراجع" ...

(وواضح أن كاوتسكي يلمح هنا إلى مجلة روزا لوكسمبورغ وفرانز مهرينغ: "انترناتسيوناله"، التي تزدري على حق سياسة المراجع أي الأوساط الرسمية القيادية في الحزب الاشتراكي-الديمقراطي الألماني وهي لجنته المركزية ("فورشتاند") وكتلته البرلمانية، الخ)- "... ومن يجرؤ على التأكيد بأن أربعة ملايين من البروليتاريين الألمان الواعين يكفيهم أمر واحد تعطيه حفنة من البرلمانيين لكي يستديروا للخلف في أربع وعشرين ساعة ويقفوا ضد أهدافهم السابقة؟ فلو صح هذا، لدل بلا ريب على إفلاس رهيب، لا في صفوف حزبنا وحسب، بل أيضًا في صفوف الجماهير (حرف التأكيد لكاوتسكي)، ولو أن هذه الجماهير كانت بمثابة قطيع خنوع من الغنم، لا رأي لها ولا عزم، لما بقى لنا إلا أن نوارى تحت التراب" (صفحة 274).

إن كارل كاوتسكي، هذا الرجل ذا الكلمة النافذة في ميدان السياسة والعلم، قد وارى نفسه تحت التراب بسلوكه ولجوئه إلى الذرائع الواهية، الحقيرة. ومن لا يدرك هذا، أو لا يشعر بهذا على الأقل، لا أمل منه يرجى للاشتراكية؛ ولهذا وقف مهرينغ وروزا لوكسمبورغ وأنصارهما الموقف الوحيد الصحيح في مجلة "إنترناتسيوناله" حين رأوا في كاوتسكي

ومن لف لفه جماعة من أحقر الناس وعاملوهم على هذا الأساس.

تصوروا: فيما يتعلق بالموقف من الحرب، لم يكن بالإمكان، أن يدلي برأيه ببعض الحرية (أي دون أن يقبض عليه فورًا ويساق إلى الثكنة، ودون أن يكون مهددًا بالإعدام فورًا رميًا بالرصاص) إلا "حفنة من البرلمانيين" على وجه الحصر (كان يحق لهم التصويت بكل حرية، وكان بوسعهم تمامًا أن يصوتوا ضد؛ وحتى في روسيا لم يكن يتعرض النائب لهذا السبب لا للضرب ولا للمضايقة، حتى ولا للاعتقال)، حفنة من الموظفين، والصحافيين، الخ... أما اليوم، فإن كاوتسكي يلقي بكل ثقل على الجماهير ذنب خيانة هذه الفئة الاجتماعية وميوعتها، هذه الفئة التي أشار كاوتسكي بالذات عشرات المرات، وخلال سنوات وسنوات، في كتاباته، إلى صلتها بتكتيك الانتهازية وأيديولوجيتها! إن القاعدة الأولى، الأساسية، للبحث العلمي بعامة، وللديالكتيك الماركسي بخاصة، إنما تفرض على الكاتب أن يدرس الصلة بين صراع النزعتين الحالي في الاشتراكية –النزعة التي تتحدث عن الخيانة وتصرخ بها، وتدق ناقوس الخطر بسببها، والنزعة التي لا ترى الخيانة– وبين الصراع الذي استمر فيما مضى خلال عقود وعقود.

ولكن كاوتسكي لا ينبس ببنت شفة في هذا الصدد. بل إنه لا يريد حتى طرح مسألة النزعات والتيارات. فحتى الآن، كان ثمة تيارات، أما الآن فقد زالت! فلم يبق الآن غير أسماء طنانة "لذوي الكلمة النافذة" تستشهد بها دائمًا النفوس الذليلة. وأنه لمن الملائم بخاصة في هذا الصدد أن يركن الصديق إلى صديقه، ويستر "هفواته" وفقًا للمثل القائل: اليد تغسل أختها. ترى، هل في هذا انتهازية! متى... غيد وبليخانوف وكاوتسكي! هكذا هتف مارتوف في كلمته في برن (راجع العدد 36 من "سوسيال- ديموقراط"). وكتب اكسيلرود ("غولوس"، العددين 86، 87) يقول أنه ينبغي المزيد من الحذر عند اتهام أناس من أمثال غيد بالانتهازية. ويردد كاوتسكي في برلين: أنا لا أود الدفاع عن نفسي، ولكن ... فايان وغيد، وهايندمان وبليخانوف! الوقوق يطري الديك لأن الديك يطري الوقوق.

وقد بلغ الأمر بكاوتسكي، بدافع من حمية الخدم التي يتسم بها، حدّ تقبيل يد هايندمان بعد أن قال عنه أنه انضم إلى الإمبريالية منذ أمس فقط. ولكنه كتب، طوال سنوات عديدة، عن إمبريالية هايندمان في مجلة "Neue Zeit" بالذات، وفي عشرات من الصحف الاشتراكية- الديمقراطية

في شتى أقطار العالم! فلو أن كاوتسكي يهتم عن وجدان بالترجمة السياسية للأشخاص الذين يذكرهم، لترتب عليه أن يفكر فيما إذا كانت هذه الترجمة تنطوي على أحداث وميزات هيأت انتقالهم إلى الإمبريالية، لا "في يوم واحد" بل خلال عشرات السنين. ألم يقع فايان في أسر الجوريسيين[22]، وبليخانوف في أسر المناشفة[23] ودعاة التصفية؟ ألم تلفظ نزعة غيد[24] النفس الأخير تحت أنظار الجميع في المجلة الغيدية "سوسياليسم"[25] التي هي نموذج عن العقم، وفقدان الأهلية، والعجز عن اتخاذ موقف مستقل من أية مسألة هامة؟ ألم يبد كاوتسكي (ونضيف قولنا هذا للذين يضعونه -على حق- في مصف واحد مع هايندمان وبليخانوف) ضعيفًا فاقد العزيمة، في قضية الميليرانية [26]، وفي بدء النضال ضد البرنشتينية[27]، الخ.....؟

ولكننا لا نرى أي ظل لاهتمام بتحليل ترجمة هؤلاء الزعماء تحليلاً علميًا. كما أننا لا نرى أيضًا أية محاولة لمعرفة ما إذا كان هؤلاء الزعماء يدافعون عن أنفسهم الآن بحججهم هم أم بترديدهم حجج الانتهازيين والبرجوازيين؟ وهل اكتسبت أعمال هؤلاء الزعماء أهمية سياسية جدّية بسبب من نفوذهم الخاص أم بسبب من انضمامهم إلى تيار

غريب، "نافذ" فعلاً، وتدعمه منظمة عسكرية، وأعني به التيار البرجوازي؟ بل إن كاوتسكي لم يباشر دراسة المسألة؛ فهو لم يهتم إلا بشيء واحد، هو ذّر الرماد في عيون الجماهير، وأصمامها بفرقعة أسماء الشخصيات النافذة، ومنعها من أن تطرح بوضوح المسألة المختلف عليها وتدرسها من جميع نواحيها.(*)

(*) إن إشارة كاوتسكي إلى فايان وغيد وهايندمان وبليخانوف لها دلالتها أيضًا من ناحية أخرى. فإن نفرًا من الإمبرياليين المكشوفين، أمثال لتش وهينيش (فضلاً عن الانتهازيين) يستشهدون على وجه الدقة بهايندمان وبليخانوف من أجل تبرير سياستهم. ولهم ملء الحق في الاستشهاد بهما، إذ أنهم يقولون الحقيقة، بمعنى أن الطرفين يتبعان سياسة واحدة فعلاً. أما كاوتسكي فإنه يتحدث بازدراء عن لتش وهينيش، عن هذين الراديكاليين اللذين اتجها نحو الإمبريالية. ويحمد كاوتسكي الله على أنه لا يشبه هذين العشارين، وعلى أنه لا يتفق معهما، وأنه ظل ثوريًا — المزاح جانبًا! والحال أن موقف كاوتسكي هو، في الواقع، الموقف نفسه. بل أن الشوفيني كاوتسكي المنافق، بجمله وتعابيره المطلقة المعسولة، أشد تنفيرًا إلى حد كبير من الشوفينيين الخشنين دافيد وهينه ولتش وهينيش.

"... أربعة ملايين من الناس استداروا للخلف لمجرد أمر من حفنة من البرلمانيين..."

إن كل كلمة هنا تناقض الواقع والحقيقة. فإن منظمة الحزب عند الألمان لم تكن تضم أربعة ملايين عضو بل مليونًا، علمًا بأن وحدة إرادة هذه المنظمة الجماهيرية (شأنها شأن أية منظمة أخرى) إنما كان يعّبر عنه مركزها السياسي الوحيد وحده، أي "حفنة" خانت الاشتراكية. هذه الحفنة كانت تستشار، كانت تدعى للتصويت، كان بوسعها أن تصوت، وأن تكتب المقالات، الخ... أما الجماهير، فلم يكن ليؤخذ رأيها. لم يكن يسمح لها بالتصويت، وليس هذا وحسب، إنما كانوا يقسمون صفوفها أيضًا ويدفعونها، لا "بناء على أمر" حفنة من البرلمانيين، بل بناء على أمر السلطات العسكرية. كانت المنظمة العسكرية قائمة؛ وفيها لم يكن أي مجال لخيانة الزعماء؛ فقد كانت تدعو "الجمهور" واحدًا بعد الآخر، فارضة هذا الإنذار: إما أن تمضي إلى الجيش (بناء على نصيحة زعمائك) وإما أن تعدم رميًا بالرصاص. ولم يكن بمقدور الجمهور أن يقوم بأعمال منظمة، إذ أن منظمته التي أنشئت سابقًا والتي كانت متجسدة في "حفنة" من أمثال ليغين وكاوتسكي وشيدمان،

قد خانت الجمهور، والحال أنه ينبغي فترة من الزمن لإنشاء منظمة جديدة، ينبغي التسلح بالعزم ونبذ المنظمة القديمة، المتعفنة، المتداعية.

إن كاوتسكي يبذل جهده للتغلب على خصومه، اليساريين، فينسب إليهم هذا الرأي الأخرق، وهو أنهم يطرحون المسألة على النحو التالي: "ردًا" على الحرب، كان ينبغي على "الجماهير" أن تقوم بالثورة "خلال 24 ساعة"، وأن تطبق "الاشتراكية" ضد الإمبريالية، وإلا كانت "الجماهير" "خائنة فاقدة العزيمة". ولكن تلك مجرد غباوة كان مؤلفو الكتب البرجوزية والبوليسية السقط "يغلبون" بها الثوريين قبل اليوم ويرددها كاوتسكي الآن.

بيد أن خصوم كاوتسكي اليساريين يعلمون تمام العلم أنه لا يمكن "صنع" الثورة، وأن الثورات تنشأ من الأزمات والانعطافات التاريخية التي نضجت موضوعيًا (بصرف النظر عن إرادة الأحزاب والطبقات)؛ وأن الجماهير، بدون منظمة، تكون محرومة من وحدة الإرادة؛ وأن النضال ضد المنظمة العسكرية والإرهابية القوية للدول الممركزة، أمر صعب وطويل النفس.

إن الجماهير لم تكن تستطيع القيام بأي عمل نظرًا لخيانة زعمائها في اللحظة الحرجة، في حين أن "الحفنات" من

هؤلاء الزعماء كانت تستطيع تمامًا وكان من واجبها أن تصوت ضد الاعتمادات، وتعارض "السلام الأهلي" وتبرير الحرب، وتؤيد هزيمة حكوماتها، وتنشئ جهازًا عالميًا للدعاية من أجل التآخي في الخنادق، وتنظم طبع ونشر منشورات لا شرعية(*) تنادي بضرورة الانتقال إلى الأعمال الثورية، الخ...

(*) ونقول عرضًا أنه لهذا الغرض لم يكن مطلقًا من الضروري التوقف عن إصدار جميع الصحف الاشتراكية- الديمقراطية، ردًا على تحريم الكتابة حول الحقد الطبقي والنضال الطبقي. ولقد كان الرضوخ لشرط عدم الكتابة حول هذا الموضوع، كما فعلت "Vorwarts" (فورفارتس (28)، ضربًا من السفالة والجبانة. ولقد ماتت "فورفارتس" سياسيًا لأنها فعلت ذلك. وكان مارتوف على حق حين أعلن هذا. ولكنه كان من الممكن الحفاظ على الصحف الشرعية بالإعلان عنها أنها ليست من صحف الحزب، وليست اشتراكية- ديمقراطية، إنما تخدم المصالح التكتيكية لقسم من العمال، أي أنها صحف غير سياسية. فهل كان من المتعذر وجود أدب اشتراكي- ديمقراطي لا شرعي يعطي تقديرًا للحزب، وأدب عمالي شرعي لا يعطي هذا التقدير، ولا يقول ما ينافي الحقيقة والواقع، إنما يلزم الصمت حول الحقيقة؟

إن كاوتسكي يعلم تمام العلم أن "اليساريين" في ألمانيا يقصدون على وجه الدقة هذه الأعمال أو يقصدون بالأحرى أعمالاً مماثلة وأنهم لا يستطيعون التحدث عنها بصراحة، بصورة مكشوفة نظرًا لوجود الرقابة العسكرية. ولكن رغبة كاوتسكي في الدفاع عن الانتهازيين مهما كلف الأمر قادته إلى خزي لا مثيل له وذلك حين تستر وراء المراقبين العسكريين ونسب إلى اليساريين غباوة بيّنة، وهو على ثقة بأن المراقبين سيحولون دون فضحه.

7

إن المسألة العلمية والسياسية الجدية التي يتملص منها كاوتسكي قصدًا وعمدًا بشتى الحيل والأحاييل، لما فيه انشراح الانتهازيين وبالغ سرورهم، إنما تتلخص في معرفة كيف استطاع أبرز ممثلي الأممية الثانية خيانة الاشتراكية.

يقينًا أنه ينبغي لنا أن نطرح هذا السؤال لا من حيث ترجمة هذا الزعيم أو ذاك الشخصية. فعلى مترجميهم المقبلين أن يستقصوا هذه الناحية أيضًا، ولكن الحركة الاشتراكية تهتم اليوم بشيء آخر تماماً، تهتم بدراسة التيار الاشتراكي- الشوفيني، من حيث منشؤه التاريخي وشروطه وأهميته وقوته.

1- من أين نشأت الاشتراكية - الشوفينية؟

2- من أين استمدت قوتها؟

3- كيف ينبغي محاربتها؟

إن هذه الطريقة في طرح القضية هي وحدها الطريقة الجدية، في حين أن حصر الاهتمام في "الشخصيات" ليس في الواقع إلا مجرد مهرب وحيلة سفسطائية.

للإجابة عن السؤال الأول، ينبغي أن نرى أولاً إذا كانت ثمة صلة بين محتوى الاشتراكية- الشوفينية الفكري والسياسي

وبين أي من التيارات السابقة في الاشتراكية. وينبغي أن نرى ثانيًا ما هي، من حيث الانقسامات السياسية الفعلية، علاقة انقسام الاشتراكيين في الوقت الحاضر إلى خصوم للاشتراكية - الشوفينية ومدافعين عنها، بالانقسامات القديمة، السابقة تاريخيًا.

إننا نعني بالاشتراكية الشوفينية الإقرار بفكرة الدفاع عن الوطن في الحرب الإمبريالية الحالية، وتبرير تحالف الاشتراكيين مع برجوازية وحكومات بلداز"هم" في هذه الحرب؛ ورفضهم القول بضرورة الأعمال الثورية البروليتارية ضد برجوازيتـ"هم" ورفضهم مساندة هذه الاعمال، الخ...

وهكذا، يبدو من البديهي تمامًا أن محتوى الاشتراكية- الشوفينية الفكري والسياسي الرئيسي يتفق كل الاتفاق مع أسس الانتهازية. إنهما تيار واحد وحيد. فالانتهازية في ظروف حرب 1914-1915، تسفر عن الاشتراكية- الشوفينية. والفكرة الرئيسية في الانتهازية إنما هي فكرة التعاون بين الطبقات. ولقد قادت الحرب هذه الفكرة إلى نهايتها المنطقية، وضمت مع ذلك إلى عواملها وحوافزها العادية جملة كاملة من العوامل والحوافز غير العادية، وأكرهت، بأعمال التهديد والعنف، الجماهير الغارقة في الرتوب والمقسمة الصفوف، على

التعاون مع البرجوازية؛ وهذا الظرف يوسع، بالطبع، حلقة أنصار الانتهازية ويوضح كل الوضوح انتقال الكثيرين من راديكاليي الأمس إلى معسكر الانتهازية.

إن الانتهازية إنما تعني تضحية المرء بمصالح سواد العمال الأساسية من أجل مصالح مؤقتة لأقلية تافهة من العمال؛ إنها، بتعبير آخر، تحالف قسم من العمال مع البرجوازية، ضد سواد البروليتاريا. والحرب تجعل هذا التحالف أمرًا واضحًا وإجباريًا بصورة خاصة.

لقد ظلت الانتهازية تنشأ خلال عشرات السنين من خصائص مرحلة من تطور الرأسمالية كانت فيها الحياة السلمية والمريحة نسبيًا التي تحياها فئة من العمال المميّزين، "تبرجز"هم وتوفر لهم فتائت من أرباح رأسمالهم الوطني، وتبقيهم في معزل عن شقاء السواد البائس الذي يشاع الخراب بين صفوفه، وفي معزل عن آلامه ونزعاته الثورية. وما الحرب الإمبريالية إلا امتداد مباشر ونهاية مباشرة لحالة الأمور هذه، لأنها حرب في سبيل امتيازات أمم الدول الكبرى، في سبيل إعادة اقتسام المستعمرات فيما بينها، في سبيل سيطرتها على الأمم الأخرى. وإن سعي هذه الفئة من العمال المميزين وراء صيانة وتوطيد وضعها المميز بوصفها

"فئة عليا" من البرجوازية الصغيرة أو من أريستوقراطية (وبيروقراطية) الطبقة العاملة، إن ذلك ليس إلا الامتداد الطبيعي للآمال الانتهازية البرجوازية الصغيرة وللتكتيك المناسب إبان الحرب، إن ذلك ليس إلا الأساس الاقتصادي للاشتراكية- الإمبريالية الحالية.(*)

(*) فيما يلي بعض الأمثلة التي تبين كيف يقدر الإمبرياليون والبرجوازيون رفيع التقدير أهمية الامتيازات الوطنية وامتيازات "أمم الدول الكبرى" من أجل شق صفوف العمال وصرفهم عن الاشتراكية. فإن الإمبريالي الإنجليزي لوكاس يقر في مؤلفه "روما العظمى وبريطانيا العظمى" (اوكسفورد، 1912) بعدم مساواة الملونين في الحقوق مع البيض في قلب الإمبراطورية البريطانية الحالية (ص 96-97) ويلاحظ: أن العمال البيض في إمبراطوريتنا، إذ يعملون إلى جانب العمال الملونين إنما يعملون لا كرفاق لهم؛ فإن العامل الأبيض هو بالأحرى مراقب على العامل الملون" (صفحة 98). – ويطري أرفين بلغر، الأمين السابق للاتحاد الإمبراطوري لمكافحة الاشتراكيين- الديمقراطيين، سلوك الاشتراكيين- الديمقراطيين في كراسه "الاشتراكية- الديمقراطية بعد الحرب" (1915)، ويعلن أنه يتعين عليهم أن يصبحوا "حزبًا عماليًا صرفًا" (صفحة 43)، "حزبًا عماليًا ألمانيًا" "وطنيًا" (صفحة 45) بلا أفكار "ثورية"، "أممية، طوبوية" (صفحة 44). – والإمبريالي الألماني سارتوريوس فون

فالترسهاوزن يلوم الاشتراكيين- الديمقراطيين الألمان في مؤلفه عن توظيفات الرأسمال في الخارج (1907) 29) لأنهم يتجاهلون "صالح الأمة" (صفحة 438) -وقوامه الاستيلاء على المستعمرات- ويمدح العمال الإنجليز "لواقعيتهم"، لنضالهم مثلاً ضد استيطان الأجانب في إنجلترا.- والدبلوماسي الألماني رودورفر يشير في كتابه عن أسس السياسة العالمية (30) إلى هذا الأمر المعروف للجميع وهو أن تدويل الرأسمال لا يقضي مطلقًا على النضال المتفاقم بين الرساميل الوطنية في سبيل السلطة، في سبيل النفوذ، في سبيل "أغلبية الأسهم" (صفحة 161) ويلاحظ أن العمال مساقون أيضًا إلى غمار هذا النضال المتفاقم (صفحة 175). والكتاب صادر في تشرين الأول (أكتوبر) 1913، وفيه يتحدث صاحبه عن "مصالح الرأسمال" بأكبر ما يكون من الوضوح (صفحة 157) ويعتبرها سبب الحروب المعاصرة، ويعلن أن مسألة "النزعة الوطنية" تصبح "مدار" الاشتراكية (صفحة 176)، وأن ليس للحكومات ما تخشاه مطلقًا مما يقوم به الاشتراكيون- الديمقراطيون من مظاهرات أممية (صفحة 177) وهي التي تشتد نزعتها القومية يومًا بعد يوم (ص 103، 110، 176) إن الاشتراكية العالمية ستنتصر إذا هي انتزعت العمال من تأثير القومية إذ لا يمكن تحقيق أي شيء بمجرد العنف ولكنها تمنى بالهزيمة إذ تغلب الشعور القومي (ص 173-174).

وطبيعي أن قوة العادة، وروتين التطور "السلمي" نسبيًا، والأوهام القومية، والخوف من التغيرات الحادة وعدم تصديقها، كل ذلك كان بمثابة ظروف إضافية عززت الانتهازية والتوافق الريائي والجبان مع الانتهازية، لمجرد فترة من الزمن كما زُعم، لمجرد أسباب ودوافع خاصة مزعومة.

ولقد جاءت الحرب تغيّر مظهر الانتهازية التي نمت خلال عشرات السنين؛ فرفعتها إلى درجة عليا، وزادت من عدد أشكالها وأنواعها، وأكثرت صفوف أنصارها، وأغنت جعبة ذرائعهم بجملة من السفسطات الجديدة؛ ودمجت؛ إذا صح القول، عددًا كبيرًا من السواقي والجداول الجديدة في تيار الانتهازية الرئيسي، ولكن هذا التيار الرئيسي لم يَزُل. بل على العكس.

إن الاشتراكية- الشوفينية إنما هي الانتهازية وقد نضجت إلى حد أن بقاء هذا الدمل البرجوازي في داخل الأحزاب الاشتراكية أصبح مستحيلاً.

إن الذين لا يريدون أن يروا تلك الصلة الوثيقة للغاية التي لا تنفصم عراها بين الاشتراكية- الشوفينية والانتهازية يتلقطون وقائع و"حالات" منفردة فيقولون، مثلاً، إن هذا الانتهازي أصبح أمميًا وأن هذا الراديكالي غدا شوفينيًا. ولكن

هذا ليس البتة بتعليل ذي شأن في مسألة تطور التيارات. أولاً، إن الأساس الاقتصادي للشوفينية والانتهازية في الحركة العمالية واحد وحيد، هو تحالف الفئات العليا، القليلة العدد، من البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة، التي تتمتع بفتائت امتيازات رأسمال"ها" الوطني، ضد سواد البروليتاريين، ضد سواد الشغيلة والمضطهَدين على وجه العموم. ثانيًا، إن المحتوى الفكري والسياسي للتيارين واحد وحيد. ثالثًا، إن انقسام الاشتراكيين السابق، في مرحلة الأممية الثانية (1889- 1914)، إلى انتهازيين وثوريين يوافق بصورة عامة انقسامهم الجديد إلى شوفينيين وأمميين.

ولكي يقنع المرء بصحة هذه الموضوعة الأخيرة، لا بد له أن يتذكر قاعدة تقول أن علم الاجتماع (ككل علم آخر على وجه العموم) يتناول الظواهر الكثيفة لا الوقائع المنفردة. خذوا البلدان الأوروبية العشر: ألمانيا، إنجلترا، روسيا، إيطاليا، هولندا، اسوج، بلغاريا، سويسرا، فرنسا، بلجيكا. ففي البلدان الثمانية الأولى، يوافق انقسام الاشتراكيين الجدد (حسب الأممية) الانقسام السابق (حسب الانتهازية): ففي ألمانيا، غدت قلعة الانتهازية، ونعني بها "المجلة الاشتراكية الشهرية" "Sozialistische Monatshefte"[31] قلعة

الشوفينية. أما أفكار الأممية، فيدعمها ويعضدها أقصى اليسار. وفي إنجلترا، تبلغ نسبة الأممين في الحزب الاشتراكي البريطاني[32] قرابة 3/7 مجمل الأعضاء (66 صوتًا إلى جانب القرار الأممي مقابل 84، وفقًا للتقديرات الأخيرة)، في حين تضم كتلة الانتهازيين (حزب العمال[33] + الفابيين[34] + حزب العمال المستقل[35]) أقل من 1/7 الأمميين[*].

وفي روسيا، أصبحت نواة الانتهازيين الرئيسية، أي جريدة دعاة التصفية "ناشا زاريا"[38]، نواة الشوفينيين الرئيسية. لقد ازدادت ضجة بليخانوف والكسينسكي، ولكننا نعرف، من تجربة السنوات الخمس الممتدة من 1910 إلى 1914 على الأقل، أنهما عاجزان عن القيام بدعاية دائبة منتظمة بين

---

[*] عادة ما يقارن "حزب العمال المستقل" وحده "بالحزب الاشتراكي البريطاني". وهذا خطأ. إذ ينبغي الاعتماد لا على أشكال التنظيم، بل على جوهر القضية بالذات. انظروا الصحف اليومية: كانت ثمة صحيفتان -إحداهما ("Daily Herald") (36) تخص الحزب الاشتراكي البريطاني، والأخرى ("Daily Citizen")[37] تخص كتلة الانتهازيين. والصحف اليومية تعكس النشاط الفعلي في ميدان الدعاية والتحريض والتنظيم.

الجماهير في روسيا. أما نواة الأمميين الرئيسية في روسيا، فهي "البرافدية"[39]، والكتلة العمالية الاشتراكية- الديمقراطية الروسية، بوصفها ممثلة العمال الطليعيين الذين أعادوا تأسيس الحزب في يناير (كانون الثاني) 1912.[40]

وفي إيطاليا، غدا حزب بيسولاني وشركاه، الانتهازي الصرف، حزبًا شوفينيًا. أما الأهمية فيمثلها حزب العمال. وجماهير العمال تؤيد هذا الحزب؛ أما الانتهازيون والبرلمانيون وصغار البرجوازيين، فإنهم يؤيدون الشوفينية. لقد كان بإمكان المرء في إيطاليا، خلال عدة أشهر، أن يختار بحرية، وقد تم هذا الاختيار، لا من قبيل الصدفة، بل تبعًا للفرق بين الوضع الطبقي لسواد البروليتاريين ووضع الفئات البرجوازية الصغيرة.

وفي هولندا، يتوافق حزب ترولسترا الانتهازي مع الشوفينية بعامة (ينبغي لنا ألا نُخْدَع بكون البرجوازيين الصغار في هولندا، شأنهم شأن البرجوازيين الكبار، يكرهون ألمانيا أشد الكره، لأنها بالأحرى قادرة أكثر من أية دولة أخرى، على "ابتلاعهم").

أما الأمميون الثابتون، المخلصون، المتحمسون، المقتنعون، فقد برزوا في صفوف الحزب الماركسي وعلى رأسه غورتر

وبانيكوك. وفي اسوج، يعرب الزعيم الانتهازي برانتينغ عن استيائه من اتهام الاشتراكيين الألمان بالخيانة في حين يعلن زعيم اليساريين هوغلوند أن تلك على وجه الدقة وجهة نظر بعض من أنصاره (انظر "سوسيال- ديموقراط"، العدد (36). وفي بلغاريا، يتهم خصوم الانتهازية، "التيسنياك"[41]، الاشتراكيين- الديمقراطيين الألمان، في صحيفتهم ("الأزمنة الحديثة"[42]) بأنهم "ارتكبوا قذارة".

وفي سويسرا، يميل أنصار الانتهازي غروليخ إلى تبرير الاشتراكيين- الديمقراطيين الألمان (انظر صحيفتهم "حق الشعب"[43] الصادرة في زوريخ) في حين جعل أنصار غريم، الذي هو راديكالي أكثر بكثير من غروليخ، جريدة برن "Berner Tagwacht"[44]) لسان حال اليساريين الألمان. فقط بلدان من عشرة شاذان، هما فرنسا وبلجيكا، ولكننا نلاحظ فيهما أيضًا، لا انعدام الأممين، ولكن ضعفهم اللامتناهي وانهيار معنوياتهم إلى أقصى حد (وذلك لأسباب مفهومة تمامًا في جملة غيرها من الأسباب). ولا ننسين أن فايان نفسه قد أقر في "L'Humainte"[45] أنه تلقى من قرائه رسائل تنم عن نزعة أممية، ولكنه لم ينشر أية واحدة منها بنصها الكامل!

وإذا رأينا بوجه عام إلى التيارات والنزعات، لا بد لنا أن نقر بأن الجناح الانتهازي من الاشتراكية الأوروبية هو الذي خان الاشتراكية وانتقل إلى الشوفينية. فمن أين يستمد قوته، وجبروته الظاهري في الأحزاب الرسمية؟ إن كاوتسكي، الذي يجيد طرح القضايا التاريخية، ولا سيما حين يدور الكلام حول روما القديمة وغير ذلك من المواضيع المماثلة التي لا تمس الواقع الحي عن كثب، إنما يتظاهر الآن رياء ونفاقًا بأنه لا يدرك هذا الأمر مع أن الأمر يمسه بالذات. ولكنه واضح وضوح النهار.

إن قوة الانتهازيين والشوفينيين الهائلة، إنما يستمدونها من تحالفهم مع البرجوزية والحكومات وهيئات الأركان العامة. وهذا ما ينسونه في غالب الأحيان عندنا في روسيا، ويعتبرون أن الانتهازيين هم قسم من الأحزاب الاشتراكية، وأنه كان ثمة دائمًا وسيظل ثمة دائمًا جناحان متطرفان في هذه الأحزاب، وأن كل ما في الأمر هو اجتناب "التطرف"، الخ..، وهكذا دواليك، كما يقال في جميع المؤلفات المبتذلة الضيقة الأفق.

أما في الواقع، فإن انتساب الانتهازيين رسميًا إلى أحزاب العمال لا ينفي إطلاقًا كونهم -موضوعيًا- فصيلة سياسية من فصائل البرجوازية وناقلي نفوذها، وعملاءها في الحركة العمالية. وحين قدّم الانتهازي زوديكوم، وهو ذو شهرة مماثلة

لشهرة هيروستراتس[46]، الدليل الواضح على هذه الحقيقة الاجتماعية، الطبقية، تملكت الدهشة كثيرين من الناس الطيبين. وراح الاشتراكيون الفرنسيون وبليخانوف يشيرون بالأصابع إلى زوديكوم، مع أنه كان يكفي فاندرفيلده، وسامبا، وبليخانوف، أن يلقوا نظرة واحدة إلى المرآة لكي يروا زوديكوم على وجه الدقة، بسيماء وطنية مختلفة قليلاً. وهّب أعضاء اللجنة المركزية الألمانية ("فورشتاند")، الذين يطرون كاوتسكي والذين يطريهم كاوتسكي بدوره، وأعلنوا بحذر وتواضع وأدب أنهم "على خلاف" مع خطة زوديكوم (دون أن يسموا زوديكوم بالذات).

وهذا أمر سخيف مضحك، لأن زوديكوم وحده قد غدا، في الواقع، في السياسة التي ينتهجها الحزب الاشتراكي-الديمقراطي الألماني، وعند اللحظة الحاسمة، أقوى من مئة من أمثال هآزه وكاوتسكي (شأنه في ذلك شأن "ناشا زاريا" التي تبين أنها وحدها أقوى من جميع تيارات كتلة بروكسل[47] التي تخشى الانشقاق عنها).

لماذا؟ للسبب التالي بالضبط وهو أن وراء زوديكوم تقف برجوازية دولة كبرى وحكومتها وهيئة أركانها العامة وهي تؤيد سياسة زوديكوم بألف أسلوب وأسلوب، بينما تسحق سياسة

خصومه بجميع الوسائل، بما فيها السجن والإعدام رميًا بالرصاص. وكلمة زوديكوم إنما تنشرها الصحافة البرجوازية بملايين النسخ من الصحف (كما تنشر كلمات فاندرفيلده وسامبا وبليخانوف) في حين لا يمكن سماع صوت خصومه في الصحافة الشرعية نظرًا لوجود رقابة عسكرية!

إن الجميع متفقون على أن الانتهازية ليست وليدة الصدفة، ولا خطيئة، ولا زلة، ولا خيانة أفراد منعزلين، إنما هي النتاج الاجتماعي لمرحلة تاريخية كاملة. ولكن ليس الجميع يمعنون التفكير في أهمية هذه الحقيقة.

فالانتهازية هي نتاج الشرعية. وكان على الأحزاب العمالية أن تستغل في المرحلة الممتدة من 1889 إلى 1914 الشرعية البرجوازية. وعندما انفجرت الأزمة، اقتضى الأمر الانتقال إلى العمل اللاشرعي (والحال، لا يمكن إجراء هذا الانتقال إلا بالتسلح بأشد العزيمة والتصميم المجتمعين بجملة كاملة من حيل الحرب). وللحيلولة دون هذا الانتقال، يكفي زوديكوم واحد فقط، لأن "العالم القديم" كله، حسب التعبير التاريخي الفلسفي، إلى جانبه، لأن زوديكوم قد سلّم على الدوام وسيسلم دائمًا البرجوازية جميع الخطط الحربية التي يضعها عدو هذه البرجوازية الطبقي، حسب التعبير السياسي العملي.

وإنه لأمر واقع أن الحزب الاشتراكي- الديمقراطي الألماني بكليته (وهذا يصح أيضًا بالنسبة للفرنسيين والآخرين) يفعل فقط ما يرضي زوديكوم أو ما يمكن أن يتساهل به زوديكوم. ولا يمكن القيام بأي شيء آخر على نحو شرعي. وكل ما يجري في الحزب الاشتراكي- الديمقراطي الألماني من شريف، واشتراكي حقًا، إنما يجري ضد مراكزه، متجاوزًا لجنته المركزية وصحيفته المركزية، إنما يجري انتهاكًا للطاعة التنظيمية، إنما يجري بصورة تكتلية، باسم مراكز جديدة مغلقة لحزب جديد، ما هو مغفل، مثلاً، نداء "اليساريين" الألمان، المنشور في " Berner Tagwacht" بتاريخ 31 آيار (مايو) الجاري[48]. فإن حزبًا جديدًا ينمو، ويتوطد، وينتظم فعلاً، حزبًا عماليًا فعلاً، واشتراكيًا- ديمقراطيًا ثوريًا فعلاً، حزبًا غير هذا الحزب القومي- الليبرالي القديم المتعفن، حزب ليغين وزوديكوم وكاوتسكي وهآزه وشيدمان ومن لف لفهم. (*)

(*) إن ما جرى قبل التصويت التاريخي في الرابع من آب (أغسطس) لبليغ الدلالة. فإن الحزب الرسمي قد ألقى على هذا الأمر ستار الرياء الرسمي: فبناء على قرار الأغلبية، صوت الجميع كرجل واحد، مع. ولكن شترويل كشف القناع عن هذا الرياء في مجلة "Die

ولهذا أفشى الانتهازي Monitor (مونيتور)، دون قصد منه، حقيقة تاريخية على مثل هذا العمق، في المجلة المحافظة "الحولية البروسية"[49] وذلك حين قال أنه مما يسيء إلى الانتهازيين (اقرأ: إلى البرجوازية) أن تتطور الاشتراكية- الديمقراطية الحالية إلى اليمين، إذ أن العمال يتخلّون عنها حينذاك. فالانتهازيون (والبرجوازية) بحاجة إلى الحزب الحالي على وجه الدقة، لأنه يجمع الجناح اليميني والجناح اليساري، ولأن كاوتسكي يمثله رسميًا وهو الذي يعرف كيف يوفّق كل شيء في العالم بجمل ليّنة و"ماركسية تمامًا". اشتراكية وثورية

Internationale" ("دي انترناسيوناله") وأظهر الحقيقة. فقد كان في الكتلة الاشتراكية- الديمقراطية النيابية فريقان جاءا مع إنذار جاهز، أي مع قرار تكتلي أو انشقاقي. وكان أحد هذين الفريقين، وهو فريق الانتهازيين، الذي يضم زهاء 30 شخصًا، قد قرر أن يصوت مع في مطلق الأحوال؛ أما الفريق الثاني، وهو فريق اليساريين، ويضم زهاء 15 شخصًا، فقد قرر -بحزم أقل- أن يصوت ضد. ولكن حين صوت "الوسط" أو "المستنقع"، الذي ليس له أي موقف ثابت، مع الانتهازيين، منى اليساريون بهزيمة ماحقة و... رضخوا! إن "وحدة" الاشتراكية- الديمقراطية الألمانية مجرد نفاق ورياء، يستر بالفعل حتمية الخضوع لإنذارات الانتهازيين.

بالأقوال، من أجل الشعب، من أجل الجماهير، من أجل العمال؛ وزديكومية بالأفعال، أي الانضمام إلى البرجوازية لدى كل أزمة جدّية. ونقول كل أزمة، لأن ألمانيا "الإقطاعية"، مثلها مثل إنجلترا "الحرة البرلمانية" أو فرنسا، ستعلن الأحكام العرفية فورًا، بهذا الاسم أو ذاك، لا لمناسبة نشوب حرب وحسب، بل أيضًا لدى أي إضراب سياسي جدّي. وكل امرئ سليم العقل والذاكرة لا يمكن له أن يشك في ذلك الوقت.

ومن هنا ينجم الجواب عن السؤال المطروح أعلاه: كيف نحارب الاشتراكية – الشوفينية؟ إن الاشتراكية – الشوفينية، إنما هي الانتهازية، وقد نضجت، وغدت قوية وقحة خلال المرحلة الطويلة من الرأسمالية "السلمية" نسبيًا، وتبلورت من الناحية الفكرية والسياسية، واقتربت من البرجوازية والحكومات، إلى حدّ أنه لا يمكن التساهل بوجود مثل هذا التيار في داخل الأحزاب العمالية الاشتراكية– الديمقراطية. وإذا كان بوسع المرء أن يحتذي خفّين رقيقين ويسير على الأرصفة المبلطة في مدينة نائية صغيرة، فإنه يستحيل عليه الاستغناء عن حذاء ضخم ذي مسامير حين يسير في الجبال.

إن الاشتراكية في أوروبا قد اجتازت المرحلة السلمية نسبيًا والتي تحدّها الحدود القومية الضيقة. ودخلت بعد اندلاع حرب 1914-1915 في مرحلة الأعمال الثورية، ويقينًا أنه آن الأوان للقطيعة التامة مع الانتهازية وطردها من صفوف الأحزاب العمالية.

وطبيعي أننا لا نستطيع الآن أن نستخلص مباشرة، من هذا التعريف للمهمات التي تضعها المرحلة الجديدة من تطور الاشتراكية في العالم أمام الاشتراكية، بأية سرعة وبأية أشكال دقيقة ستجري في كل بلد من البلدان عملية انفصال الأحزاب العمالية الاشتراكية- الديمقراطية الثورية عن الأحزاب البرجوازية الصغيرة الانتهازية.

إلا أنه تنبع من هنا ضرورة إدراك حتمية هذا الانفصال إدراكًا واضحًا، ولذا يجب توجيه كل سياسة الأحزاب العمالية انطلاقًا من هذه الفكرة بالذات. فإن حرب 1914-1915 هي عبارة عن انعطاف في التاريخ جسيم إلى حد أن الموقف من الانتهازية لا يمكن أن يبقى كما كان في السابق. ذلك أنه لا يمكن لأحد أن يمحو ما كان في الواقع، لا يمكن لأحد أن يزيل، لا من ضمير ا لعمال ولا من تجربة البرجوازية، ولا من المكتسبات السياسية في عصرنا

بوجه عام، حقيقة أن الانتهازيين قد أصبحوا، إبان الأزمة، نواة العناصر التي انتقلت، في داخل الأحزاب العمالية، إلى جانب البرجوازية. فالانتهازية، إذا تحدثنا عنها على النطاق الأوروبي، إنما كانت، إذا صح القول، في طور الشباب قبل الحرب. ولكنها بلغت نهائيًا سن الرشد مع نشوب الحرب، ولم يعد بالمستطاع إعادة "براءتها" وشبابها. فلقد نضجت فئة اجتماعية كاملة من البرلمانيين والصحافيين، وموظفي الحركة العمالية، والمستخدمين المميزين وبعض الجماعات من البروليتاريا، فئة تلاحمت مع برجوازيتها الوطنية واستطاعت هذه الأخيرة أن تقدّرها "وتكيّفها" على أكمل وجه. وأنه لمن المستحيل إعادة عجلة التاريخ إلى وراء أو وقف سيرها، ولكنه من الممكن ومن الواجب التقدم دون خشية با لانتقال من منظمات الطبقة العاملة، التي كانت تمهيدية وشرعية وأسيرة الانتهازية، إلى المنظمات الثورية التي تعرف كيف لا تحصر نفسها في إطار الشرعية، والتي تستطيع أن تتقي الخيانة الانتهازية، إلى منظمات البروليتاريا التي تدخل "حلبة النضال من أجل السلطة"، من أجل إسقاط البرجوازية.

وإنه ليتبين لنا، فيما يتبين، مدى خطل رأي أولئك الذين يعمون إدراكهم وإدراك العمال بمسألة معرفة السلوك الذي

ينبغي إتباعه إزاء هذه الشخصيات البارزة أو تلك في الأممية الثانية، إزاء غيد، وبليخانوف، وكاوتسكي، وغيرهم.

فإن هذه المسألة غير واردة إطلاقًا في الواقع: فإذا كان هؤلاء الأشخاص لا يدركون المهمات الجديدة، فإنه يترتب عليهم أن يبقوا على حدة أو أن يبقوا أسرى الانتهازيين كما هم عليه في الوقت الحاضر. وإذا ما تحرروا من "أسرهم" فمن المشكوك فيه أن تقوم عقبات سياسية بوجه عودتهم إلى معسكر الثوريين، غير أنه من السخف في مطلق الأحوال أن تحل مسألة دور هؤلاء أو أولئك من الأفراد بعينهم محل مسألة صراع التيارات وتبدل المراحل في الحركة العمالية.

8

قد تكون المنظمات الشرعية الجماهيرية للطبقة العاملة أهم علامة تميز الأحزاب الاشتراكية في عهد الأممية الثانية.

ففي الحزب الألماني كانت هذه المنظمات أقوى مما في غيره؛ وفي هذا الحزب؛ سجلت حرب 1914-1915 الانعطاف الأشد ووضعت المسألة بأحزم وجه. وواضح أن الانتقال إلى الأعمال الثورية كان يعني حل المنظمات الشرعية من قبل البوليس؛ فإن الحزب القديم، من ليغين حتى كاوتسكي، ضحّى بالأهداف الثورية للبروليتاريا لكي يصون المنظمات الشرعية الحالية. وعبثًا ينكرون هذا الأمر، فالوقائع تشهد عليه. لقد باعوا حق البروليتاريا في الثورة مقابل "طبيخ من العدس" وهو المنظمات التي يسمح بها القانون البوليسي الحالي.

خذوا كراس كارل ليغين، زعيم النقابات الاشتراكية-الديمقراطية الألمانية: "لماذا يجب على موظفي النقابات أن يسهموا بقسط أكبر في حياة الحزب الداخلية؟" (برلين، 1915). هذا الكراس عبارة عن تقرير تلاه صاحبه في 27 كانون الثاني (يناير) 1915 أمام اجتماع لموظفي الحركة النقابية. وقد تلا ليغين في تقريره وثيقة طريفة جدًا، ثم أوردها

في كراسه؛ وما كان من الممكن أن تسمح الرقابة العسكرية بنشرها على غير هذا النحو. وهذه الوثيقة المسماة "مواد لمقرري حي نيدريارنيم" (ضاحية برلين) عبارة عن عرض لمفاهيم الاشتراكيين- الديمقراطيين اليساريين الألمان ولاحتجاجهم على الحزب. وقد جاء في هذه الوثيقة أن الاشتراكيين- الديمقراطيين الثوريين لم يتوقعوا ولم يكن بوسعهم أن يتوقعوا عاملاً معينًا هو:

"انتقال كل ما في الحزب الاشتراكي- الديمقراطي الألماني والنقابات من قوة منظمة إلى جانب الحكومة المحاربة، واستخدام هذه القوة بكليتها بقصد قمع العزيمة الثورية لدى الجماهير (صفحة 34 من كراس ليغين).

هذا قول صحيح تمامًا. وكذلك صحيح المقطع التالي من الوثيقة نفسها:

"إن تصويت الكتلة الاشتراكية- الديمقراطية في الرابع من آب (أغسطس) قد بين أن وجهة نظر أخرى —حتى ولو كانت عميقة الجذور في الجماهير- كان بوسعها أن تشق لنفسها طريقًا، لا تحت قيادة الحزب المجرب، إنما فقط على الرغم من إرادة هيئات الحزب المسئولة. وفقط بالتغلب على مقاومة الحزب والنقابات" (المصدر نفسه).

وهذا قول صحيح تمامًا.

"ولو أن الكتلة الاشتراكية- الديمقراطية قامت بواجبها في الرابع من آب (أغسطس)، فمن المحتمل أن كان شكل المنظمة الخارجي قد تحطم، ولكن روحها كانت قد بقيت، ونعني بها الروح التي كانت تحرك الحزب في عهد القانون الاستثنائي[50] وتساعده على تذليل كل المصاعب" (المصدر نفسه).

وقد أشار ليغين في كراسه إلى أن جماعة من "الزعماء" الذين دعاهم ليتلو عليهم تقريره والذين يُسمّون قادة، وموظفين نقابيين، قد انفجروا بالضحك عند استماعهم إلى هذا. فقد اعتبروا أنه من المضحك أن يكون من الممكن ومن المترتب إنشاء منظمات ثورية لا شرعية (كما جرى في عهد القانون الاستثنائي) إبان الأزمة؛ أما ليغين، الذي هو أخلص كلب حراسة عند البرجوازية، فراح يخبط على صدره بيده، صائحًا:

"إنها لفكرة فوضوية بينة فكرة نسف المنظمات من أجل حمل الجماهير على حل المسألة نفسها. وإني لا أشك مطلقًا في كون هذه الفكرة فكرة فوضوية".

"صحيح تمامًا!" هتف معًا (المصدر نفسه، صفحة 37) خدم البرجوازية الذين يسمون أنفسهم بزعماء المنظمات الاشتراكية- الديمقراطية للطبقة العاملة.

وأنها للوحة عميقة الدلالة. فإن الشرعية البرجوازية ق أفسدت هؤلاء القوم وأعمت بصيرتهم إلى حد أنهم لا يستطيعون حتى أن يدركوا الفكرة القائلة بضرورة منظمات أخرى، لا شرعية، من أجل تأمين قيادة النضال الثوري. وقد بلغ بهم الأمر حد التصوّر بأن الاتحادات الشرعية، الموجودة بناء على إذن من البوليس، هي بمثابة حد لا يمكن تخطيه؛ وأنه من الممكن، عمومًا، الحفاظ على هذه الاتحادات في عهد الأزمة بوصفها اتحادات قيادية! إليكم دياليكتيك الانتهازية الحي: إن مجرد نمو الاتحادات الشرعية ومجرد العادة التي اتبعها التافهون الضيقو الأفق، الغلاظ العقول نوعًا ما، ولكنهم العاملون بوجدان، عادة الاقتصار على مسك الدفاتر المكتبية، قد أدّيا إلى النتيجة التالية، وهي أن هؤلاء البرجوازيين الصغار ذوي الوجدان قد غدوا في عهد الأزمة خونة، وغدّارين، وخانقي طاقة الجماهير الثورية.

وليس ذلك وليد الصدفة. فالانتقال إلى التنظيم الثوري ضرورة يقتضيها الوضع التاريخي الجديد كما تقتضيها مرحلة

الأعمال الثورية للبروليتاريا؛ ولكن هذا الانتقال لا يمكن أن يتم إلا من فوق رؤوس الزعماء القدامى خانقي الطاقة الثورية، من فوق رأس الحزب القديم، وبتحطيم هذا الحزب.

بيد أن التافهين الضيقي الأفق المعادين للثورة يزعقون بالطبع: "هذه فوضوية!" كما كان الانتهازي دافيد يزعق عن "الفوضوية" في تهجمه على كارل ليبكنخت. ويبدو أنه لم يبق في ألمانيا من اشتراكيين شرفاء غير الزعماء الذين يلومهم الانتهازيون على فوضويتهم.

لنأخذ الجيش العصري. إنه مثال ممتاز للتنظيم إنه لتنظيم ممتاز لأنه مرن وقادر في آن على أن يبعث في نفوس ملايين من الناس إرادة واحدة. فاليوم، يبقى هؤلاء الملايين من الناس حيث هم، في مختلف أنحاء البلاد، وغدًا، يصدر أمرًا التعبئة، فإذا هم يجتمعون في نقاط التجمع. اليوم يعيشون في الخنادق، لعدة أشهر أحيانًا. وغدًا، يمضون إلى الهجوم بتشكيلات أخرى. اليوم، يقومون بمآثر مدهشة محتمين من الرصاص والقنابل، وغدًا يقومون بمآثر مدهشة محاربين في القتال. اليوم، تزرع فصائلهم الأمامية الألغام تحت الأرض، وغدًا،ينتقلون عشرات الكيلومترات بناء لتوجيهات الطيارين الذين يحلقون فوق الأرض. أجل، هذا ما يسمى تنظيمًا،

حتى يغيّر ملايين الناس شكل علاقاتهم وأعمالهم من أجل هدف واحد، بدافع إرادة واحدة، ويغيرون مكان نشاطهم وأساليبه، ويغيرون أدواتهم وأسلحتهم وفقًا لتغير الظروف وتبعًا لمقتضيات النضال.

وهذا القول يصح أيضًا بالنسبة لنضال الطبقة العاملة ضد البرجوازية. فليس ثمة اليوم من وضع ثوري، ليس ثمة من ظروف للاختمار في أوساط الجماهير، لارتفاع مستوى نشاطها؛ إنهم يضعون اليوم في يدك ورقة الاقتراع، -فخذها، ولكن اعرف كيف تنتظم لكي تضرب بها أعداءك، لا لكي ترسل إلى البرلمان، إلى مناصب رابحة، أناسًا يتشبثون بمقعدهم خوفًا من السجن. وغدًا، ينتزعون منك ورقة الاقتراع، ويضعون بين أيديك بندقية ومدفعًا رشاشًا رائعًا، مجهزًا وفقًا لأحدث منجزات التكتيك الآلي،- فخذ جهازي الموت والدمار هذين، ولا تُصْغ إلى المتباكين العاطفيين الذين يخشون الحرب، فلا يزال في العالم أشياء كثيرة ينبغي القضاء عليها بالنار والحديد من أجل تحرير الطبقة العاملة. وإذا ما اشتد الغضب واليأس في الجماهير، إذا نشأ وضع ثوري، فاستعد لتأسيس منظمات جديدة ولاستعمال أجهزة الموت والدمار هذه الجزيلة الفائدة ضد حكومتك وبرجوازيتك.

يقينًا، إن هذا الأمر ليس بالأمر الميسور. إنما يتطلب أعمالاً تمهيدية مضنية. إنما يتطلب تضحيات فادحة إنما هو مظهر جديد من التنظيم والنضال ينبغي تعلمه أيضًا؛ والحال، لا يمكن اكتساب العلم دون أخطاء وهزائم. فإن هذا المظهر من النضال الطبقي بالنسبة للاشتراك في الانتخابات أشبه بالهجوم بالنسبة للمناورات، أو المسيرات، أو الإقامة في الخنادق. وليس أحيانًا كثيرة جدًا يرد هذا المظهر من النضال في جدول أعمال التاريخ؛ ولكن أهميته ونتائجه تشمل عشرات السنين. فإن الأيام التي يمكن ويجب فيها اللجوء إلى مثل هذه الأساليب في النضال إنما توازي عشرينات السنين من أجل المراحل التاريخية الأخرى.

... قارنوا بين كارل كاوتسكي وكارل ليغين. فقد كتب كاوتسكي يقول:

"طالما كان الحزب صغيرًا، فإن كل احتجاج على الحرب كان يؤثر، من حيث الدعاية، كعمل بطولي... إن مسلك الرفاق الروس والصرب في الآونة الأخيرة قد لاقى التأييد العام. وكلما ازداد الحزب قوة، كلما امتزجت اعتبارات الدعاية في أسباب قراراته، مع اعتبارات العواقب العملية، وكلما ازداد صعوبة تقدير هذين النوعين من الاعتبارات حق

قدرهما سواء بسواء؛ ومع ذلك لا يحق إهمال أي منهما. ولذا، فإننا كلما ازددنا قوة، برزت الخلافات فيما بيننا بمزيد من السهولة، لمناسبة كل وضع جديد معقد" ("الأممية والحرب"، صفحة 30).

إن محاكمات كاوتسكي هذه لا تمتاز عن محاكمات ليغين إلا بنفاقها وجبنها. فإن كاوتسكي يؤيد بالفعل ويبرر عدول ليغين وأتباعه بسفالة عن النشاط الثوري، ولكنه يفعل ذلك بصورة مستورة، دون أن يعلن رأيه بصراحة، مكتفيًا بالتلميحات، مقتصرًا على تبجيل ليغين وسلوك الروس الثوري على حد سواء. إن مثل هذا الموقف من الثوريين، إنما نحن الروس، لم نتعود أن نراه إلا عند الليبراليين؛ فالليبراليون مستعدون دائمًا لأن يقدروا "شجاعة" الثوريين ولكنهم لن يقلعوا، بأي ثمن كان، عن تكتيكهم المغرق في الانتهازية.

ولذا، فإن الثوريين الذين يحترمون أنفسهم لن يرضوا "بإعراب" كاوتسكي عن "تقديره" وسينبذون بسخط طرح المسألة على هذا النحو. ولو لم يكن هناك وضع ثوري، لو لم يكن من الضروري الدعاية للعمل الثوري، لكان سلوك الروس والصرب خاطئًا وتكتيكهم غير صحيح. فليتحلّ

الفرسان من أمثال ليغين وكاوتسكي بشجاعة التعبير عن آرائهم على الأقل وليعربوا عنها بصراحة.

ولكن، إذا كان تكتيك الإشتراكيين الروس والصرب يستحق "التقدير"، فلا يجوز، بل إنه من باب الإجرام تبرير التكتيك المضاد الذي تتبعه الأحزاب "القوية"، الألماني، والفرنسي، الخ.... فبواسطة هذا التعبير الغامض قصدًا: "العواقب العملية"، ستر كاوتسكي هذه الحقيقة البسيطة وهي أن الأحزاب الكبيرة والقوية قد خشيت أن تحل الحكومة منظماتها وتصادر أموالها وتعتقل زعماءها. وهذا يعني أن كاوتسكي يبرر خيانة الاشتراكية بحجة "العواقب العملية" المزعجة التي قد تنجم عن التكتيك الثوري. أوليس في ذلك تشويه للماركسية وتحقير لها؟

يقال أن أحد النواب الاشتراكيين- الديمقراطيين ممن صوتوا بالموافقة على الاعتمادات في 4 آب (أغسطس) قد صرح في أحد اجتماعات العمال في برلين: لو لم نصوّت، لكانوا اعتقلونا. وإذا بالعمال يردون عليه صائحين: "طيب، وأي ضرر في ذلك؟".

فإن لم تكن ثمة علاقة أخرى تنقل إلى جماهير العمال في ألمانيا وفرنسا المزاج الثوري وفكرة ضرورة تحضير العمل

الثوري، فإن اعتقال نائب لحظات مفعم بالجرأة يلقيه، كان من شأنه أن يلعب دورًا مفيدًا، أن يكون بمثابة نداء لتوحيد البروليتاريين من مختلف البلدان لأجل القيام بالعمل الثوري. صحيح أن مثل هذا التوحيد أمر غير ميسور، ولذا كان يترتب الأحرى على النواب الذين يشغلون مراتب عليا والذين يرون السياسة بكليتها، أن يتولوا زمام المبادرة.

إن حكومة البلد البرجوازي الأكثر حرية ستهدد دائمًا بحل المنظمات الشرعية، ومصادرة أموالها باعتقال زعمائها، وغير ذلك من "العواقب العملية" المماثلة، لا إبان الحرب وحسب، بل لا ريب لدن أي تفاقم في الوضع السياسي، فضلاً عن أية أعمال ثورية قد تقوم بها الجماهير. فكيف العمل حينذاك؟ فهل نبرر للانتهازيين من جرّاء ذلك، كما فعل كاوتسكي؟ ولكن هذا يعني تكريس تحول الأحزاب الاشتراكية- الديمقراطية إلى أحزاب عمالية قومية- ليبرالية.

أما بالنسبة للاشتراكي، فإنه لا يمكن أن يكون ثمة سوى استنتاج واحد هو أن الشرعية الخالصة، الشرعية مهما كلف الأمر، للأحزاب "الأوروبية" قد ولّى زمانها، وغدت بحكم تطور الرأسمالية في مرحلتها ما قبل الإمبريالية، عماد السياسة العمالية البرجوزية. ولذا كان من الضروري إكمالها بإنشاء

أساس لا شرعي، بتنظيم لا شرعي، بعمل اشتراكي- ديمقراطيي لا شرعي، دون تسليم أي موقع شرعي مع ذلك.

أما كيف العمل لتحقيق هذا الغرض على نحو صحيح، فذلك ما ستبيّنه التجربة، شرط أن تتوافر الرغبة في إتباع هذا السبيل، شرط أن يتوافر إدراك ضرورته.

لقد بيّن الاشتراكيون- الديمقراطيون الثوريون في روسيا في 1912-1914 أنه من الممكن حل هذه المعضلة. فإن نائب العمال مورانوف، الذي كان سلوكه أمام المحكمة[51] أحسن من سلوك الآخرين والذي نفته القيصرية إلى سيبريا، قد بين بوضوح أنه توجد أيضًا برلمانية لا شرعية وثورية علاوة على البرلمانية المستوزرة (من هندرسون وسامبا وفاندرفيلده حتى زوديكوم وشيدمان الذين هم أيضًا "مستوزرون" تمامًا وكليًا، إلا أنه لا يسمح لهم بالدخول إلا إلى ردهة الاستقبال في دور الوزارات!) وسواء شُده كوسوفسكي وبوتريسوف ومن لف لفهما ببرلمانية الخدم "الأوروبية" أو سالموها، فإننا لن نكل عن القول والترديد للعمال بأن مثل هذه الشرعية ومثل هذه الاشتراكية- الديمقراطية اللتين ينادي بهما ليغين وكاوتسكي وشيدمان وأضرابهم، لا تستحقان غير الازدراء.

لنستخلص.

إن إفلاس الأممية الثانية قد تجلى بوضوح بالغ في خيانة أغلبية الأحزاب الاشتراكية- الديمقراطية الرسمية الأوروبية خيانة فاضحة لعقائدها وقراراتها الصريحة المدوية التي تبنتها في شتوتغارت وبال. ولكن هذا الإفلاس الذي يسجل انتصار الانتهازية التام، ويعني تحول الأحزاب الاشتراكية- الديمقراطية إلى أحزاب عمالية قومية- ليبرالية، ليس سوى نتيجة لكل عهد الأممية الثانية التاريخي، في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. فإن الظروف الموضوعية في هذا العهد الانتقالي، -بين نهاية الثورات البرجوازية والقومية في أوروبا الغربية وبداية الثورات الاشتراكية-، قد ولّدت الانتهازية وغذّتها. ففي بعض البلدان الأوروبية نلاحظ في هذا العهد انشقاقًا في الحركة العمالية والاشتراكية يسير، -في خطوطه الكبرى- وفقًا لخط الانتهازية على وجه الدقة (إنجلترا، إيطاليا، هولندا، بلغاريا، روسيا)؛ وفي بلدان أخرى، نلاحظ نضالاً طويلاً عنيدًا بين التيارات، وفقًا للخط نفسه (ألمانيا، فرنسا، بلجيكا، أسوج، سويسرا).

إلا أن الأزمة التي أثارتها الحرب الكبرى، جاءت تنزع القناع، وتكنس المصطلحات، وتفقأ الدمّل الذي نضج منذ زمن طويل، وتظهر الانتهازية في دورها الحقيقي، في دورها كحليفة للبرجوازية. فأصبح من الضروري الآن انتزاع هذا العنصر كليًا، في حقل التنظيم، من الأحزاب العمالية. فإن العصر الإمبريالي لا يمكن له أن يتساهل بالتعايش، في نفس الحزب، بين جماعة من طليعة البروليتاريا الثورية وبين جماعة من الأريستوقراطية نصف البرجوازية الصغيرة المنبثقة من صفوف الطبقة العاملة والمتمتعة بفتائت الامتيازات التي تعود إلى وضع امتـ"ها" بوصفها أمة "دولة كبرى".

إن النظرية القديمة التي تقول بأن الانتهازية "مظهر طبيعي" لحزب موحد، لا يعرف "التطرف"، إنما هي اليوم أكبر خديعة للعمال وأكبر عقبة بوجه الحركة العمالية.

إن الانتهازية السافرة الصريحة، التي تنفر جماهير العمال دفعة واحدة، هي أقل خطرًا وضررًا من نظرية الحد الأوسط هذه، التي تبرر السلوك الانتهازي بتعابير ماركسية، وتثبت بسلسلة من السفسطات أن أوان الأعمال الثورية لم يحن بعد، الخ...

إن أبرز ممثلي هذه النظرية وأبرز زعماء الأممية الثانية في آن، ونعني به كاوتسكي، قد تكشف عن منافق من الطراز الأول وماهر في فن تعهير الماركسية. وفي الحزب الألماني الذي يعد زهاء مليون عضو، لم يبق أي اشتراكي- ديمقراطي يتمتع بقسط ولو ضئيل من الاستقامة والشرف والوجدان والروح الثوري، لم ينفر بسخط من مثل هذا "الزعيم" الذي طالما دافع عنه زوديكوم وشيدمان وأضرابهما بحمية وحرارة.

إن الجماهير البروليتارية، التي من المحتمل أن يكون ما يقرب من تسعة أعشار قادتها القدامى قد انتقلوا إلى جانب البرجوازية، إنما وجدت نفسها مقسمة الصفوف وعاجزة أمام انفلات الشوفينية من عقالها، أمام طغيان القوانين العرفية والرقابة العسكرية. ولكن الوضع الثوري الموضوعي الذي ولّدته الحرب والذي ما ينفك يزداد سعة وعمقًا، إنما يوّلد بلا مناص أمزجة ثورية، ويعلم ويمرس خبرة البروليتاريين وأوعاهم.

إن تغيرًا سريعًا في أمزجة الجماهير لا يعدو ممكنًا وحسب، بل يزداد احتمالاً يومًا بعد يوم، وهذا التغير شبيه بالتغير الذي أدت إليه "الغابونية"[52] في روسيا، في مطلع 1905، حين شكلت الفئات البروليتارية المتأخرة، في بضعة أشهر وأحيانًا في بضعة أسابيع، جيشًا ضم الملايين من

المحاربين وسار وراء الطليعة الثورية للبروليتاريا. وليس بوسعنا أن نعرف ما إذا كانت ستقوم حركة ثورية جبارة بعد هذه الحرب، أم خلالها، الخ....، إلا أن العمل الذي يجري في هذا السبيل إنما هو، على كل حال، العمل الوحيد الذي يستحق أن يدعى بالعمل الاشتراكي. والشعار الذي يعمم هذا العمل ويوجهه، ويساعد في توحيد وشدّ لحمة الذين يريدون مساعدة نضال البروليتاريا الثوري ضد حكومتها وبرجوازيتها، إنما هو شعار الحرب الأهلية.

ففي روسيا، نرى أن انفصال العناصر البروليتارية الاشتراكية- الديمقراطية الثورية انفصالاً تامًا عن العناصر الانتهازية البرجوازية الصغيرة قد مهد له كل تاريخ الحركة العمالية. وأنهم ليسيئون إلى هذه الحركة، أولئك الذين لا يحسبون الحساب لهذا التاريخ ويتهجمون على "التكتلية" ويحرمون أنفسهم من إمكان فهم الحركة الحقيقية لتكّون الحزب البروليتاري في روسيا، هذا الحزب الذي يتكوّن في غمرة نضال دام سنوات طويلة ضد مختلف أنواع الانتهازية. فإن روسيا وحدها، بين جميع الدول "الكبرى" التي تشترك في الحرب الحالية، عاشت ثورة في الآونة الأخيرة، وكان لا بدّ للمحتوى البرجوازي لهذه الثورة، مع الدور الحاسم الذي

اضطلعت به البروليتاريا، من أن يؤدي إلى الانشقاق في قلب الحركة العمالية بين التيارات البرجوزية والبروليتارية.

فخلال مرحلة دامت قرابة عشرين سنة (1894-1914) وقامت فيه الاشتراكية- الديمقراطية الروسية بوصفها منظمة مرتبطة بالحركة العمالية الجماهيرية (لا بوصفها فقط تيارًا فكريًا، كما في المرحلة الممتدة من 1883 إلى 1894)، استمر الصراع بين التيار الثوري البروليتاري والتيار الانتهازي البرجوازي الصغير.

ولا ريب مطلقًا في أن "اقتصادية"[53] مرحلة 1894-1902 كانت تيارًا من هذا النوع الأخير. فإن جملة كاملة من الحجج والخصائص التي تميّز أيديولوجيتها- تشويه الماركسية على طريقة ستروفه، الاستشهاد "بالجمهور" من أجل تبرير الانتهازية، الخ، - إنما تشبه، بشكل صارخ، الماركسية الحالية، المحقَّرة، التي ينادي بها كاوتسكي وكونوف وبليخانوف وغيرهم. وأنها لمهمة جزيلة الفائدة أن نذكر الجيل الحالي من الاشتراكيين- الديمقراطيين بجريدة "رابوتشايا ميسل"[54] القديمة وبمجلة "رابوتشييه ديلو"[55]، بغية مقارنتهما بكاوتسكي أيامنا هذه.

ثم جاءت "منشفية" المرحلة التالية (1903 – 1908) ترث "الاقتصادية" مباشرة، لا من حيث النهج الفكري وحسب، بل أيضًا من حيث التنظيم. فأثناء الثورة الروسية، كان تكتيكها يسجل بصورة موضوعية تبعية البروليتاريا للبرجوازية الليبرالية ويعكس النزعات الانتهازية البرجوازية الصغيرة، وحين أدى السيل الرئيسي من تيار المنشفية إلى نشوء التصفوية في المرحلة التي تلت (1908-1914)، اتضح مغزى المنشفية الطبقي هذا إلى حد أن خيرة ممثليها لم يكفوا عن الاحتجاج على سياسة جماعة "ناشا زاريا". والحال، أن هذه الجماعة –وكانت الجماعة الوحيدة التي قامت ضد الحزب الماركسي الثوري للطبقة العاملة بعمل دائب منتظم بين الجماهير خلال السنوات الخمس أو الست الأخيرة- إنما اتضح في حرب 1914-1915 أنها اشتراكية – شوفينية! وهذا في بلد لا تزال الأوتوقراطية حيّة فيه، ولا تزال الثورة البرجوازية فيه بعيدة عن بلوغ نهايتها، ولا يزال فيه 43 بالمائة من السكان يضطهدون أغلبية الأمم "غير الروسية". فإن الطراز "الأوروبي" من التطور، حيث تستطيع بعض الفئات من البرجوزية الصغيرة، ولا سيما المثقفون، وقسم ضئيل لايؤبه له من أرستقراطية العمال، "التمتع"

بالامتيازات التي تعود إلى امت"هم" من جراء وضعها "كأمة مسيطرة في الدولة"، كان لا بد أن يظهر في روسيا أيضًا.

إن الطبقة العاملة وحزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي في روسيا قد أعدّهما كل تاريخهما للتكتيك "الأممي" أي للتكتيك الثوري حقًا والثوري إلى النهاية.

ملاحظة:

كان هذا المقال قيد الطبع، حين صدر في الصحف "بيان" كاوتسكي وهآزه وبرنشتين: فقد أدركوا أن الجماهير تميل إلى اليسار، ولذا نراهم الآن مستعدين "لإقرار السلام" مع اليساريين، شرط الحفاظ، طبعًا، على "السلام" مع زوديكوم وأضرابه. أنهم في الحقيقة Madchen Fur Alle! (أنهم في الحقيقة مومسات!)

كتب في النصف الثاني من آيار (مايو) والنصف الأول من حزيران (يونيو) 1915

صدر في أيلول (سبتمبر) 1915 في مجلة "كومونيست" العدد 1-2، جنيف

ملاحظات

1- **المكتب الاشتراكي العالمي**، هيئة تنفيذية إخبارية دائمة في الأممية الثانية. تأسس بناء على قرار من مؤتمر باريس عام 1900، منذ 1905 كان لينين ممثل حزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي في روسيا في المكتب الاشتراكي العالمي. منذ بداية الحرب الإمبريالية العالمية، تحول المكتب الاشتراكي العالمي إلى أداة طيعة بيد الاشتراكيين الشوفينيين، ص 3.

2- **"البوند"**، ("الاتحاد العام للعمال اليهود في ليتوانيا وبولونيا وروسيا") تشكل سنة 1897. كان الاتحاد يتألف في معظمه من العناصر شبه البروليتارية من الحرفيين اليهود في مناطق غرب روسيا. أثناء الحرب العالمية الأولى وقف البونديون موقف الاشتراكية الشوفينية. وفي سنة 1917 أيد البوند الحكومة المؤقتة البرجوازية وناضل إلى جانب أعداء ثورة أكتوبر الاشتراكية. وفي سنوات التدخل الأجنبي المسلح والحرب الأهلية ائتلف قادة البوند مع قوى أعداء الثورة. وفي الوقت نفسه بدأ في صفوف أعضاء البوند العاديين انعطاف في اتجاه التعاون مع السلطة السوفيتية. وفي آذار (مارس) سنة 1921 حل البوند نفسه.

"نشرة أنباء منظمة البوند في الخارج". صدرت في جنيف من حزيران (يونيو) 1911 إلى حزيران 1916. صدر منها 11 عددًا. كانت "نشرة لجنة البوند في الخارج" مواصلة "لنشرة الأنباء"، ص3.

3- **المؤتمر الاشتراكي العالمي في شتوتغارت** (المؤتمر السابع للأممية الثانية) انعقد في 18 إلى 24 آب (أغسطس) 1907. حضر المؤتمر 886 مندوبًا من الأحزاب الاشتراكية والنقابات. ومثل 37 مندوبًا حزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي في روسيا.

تركز عمل المؤتمر الأساسي في اللجان حيث جرى وضع مشاريع القرارات للجلسات العامة. اشترك لينين في عمل لجنة المسألة الرئيسية "العسكرية والنزاعات الدولية". عند بحث مشروع القرار الذي تقدم به بيل، توصل لينين، بتعديلاته التي دعمها ممثلو الاشتراكية- الديمقراطية البولونية، إلى تغييره تغييرًا جذريًا بروح الماركسية الثورية. وقد احتوى القرار الموضوعة المبدئية الفائقة الأهمية: "وإذا ما نشبت الحرب مع ذلك. ترتب عليهم (أي على الطبقة العاملة في مختلف البلدان وعلى ممثليها في البرلمانات. الناشر).. أن يسعوا بجميع الوسائل إلى استغلال الأزمة الاقتصادية

والسياسية الناجمة عن الحرب لأجل تهييج الجماهير الشعبية وتعجيل سقوط السيطرة الطبقية الرأسمالية" ("بروليتاري"، العدد 17، 20تشرين الأول (أكتوبر) 1907، ص 6).

كانت المصادقة على قرار "العسكرية والنزاعات الدولية" انتصارًا كبيرًا جدًا للجناح الثوري على الجناح الانتهازي في الحركة العمالية العالمية.

مؤتمر بال، مؤتمر اشتراكي عالمي فوق العادة انعقد في بال (سويسرا) في 24 و 25 تشرين الثاني (نوفمبر) 1912. انعقد المؤتمر لأجل البت في مسألة النضال ضد خطر الحرب الإمبريالية العالمية الزاحف، الذي اشتد وتفاقم بعد نشوب الحرب البلقانية الأولى.

في 25 تشرين الثاني، وافق المؤتمر بالإجماع على بيان بشأن الحرب. حذر البيان الشعوب من خطر الحرب العالمية المحدقة، وكشف أغراضها اللصوصية ودعا الاشتراكيين من جميع البلدان إلى النضال النشيط ضد الحرب. وفي حال اندلاع نيران الحرب الإمبريالية. أوصى البيان الاشتراكيين باستغلال الأزمة الاقتصادية والسياسية الناجمة عن الحرب لأجل النضال في سبيل الثورة الاشتراكية، ص4.

4- **المقصود** هنا القرار الذي اتخذه في 20 أيلول (سبتمبر) 1912 مؤتمر خمنيتز للاشتراكية- الديمقراطية في مسألة الإمبريالية وموقف الاشتراكيين من الحرب وقد شجب القرار السياسة الإمبريالية وأشار إلى أهمية النضال في سبيل السلام، ص 5.

5- **"ناشه سلوفو"** ("كلمتنا")، جريدة منشفية، صدرت في باريس من كانون الثاني (يناير) 1915 إلى أيلول (سبتمبر) 1916، ص 6.

6- **التصفويون** (دعاة التصفية)، هم أنصار التيار الذي ساد في القسم المنشفي لحزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي في روسيا في مرحلة الردة الرجعية بعد هزيمة ثورة 1905-1907. كان التصفويون يطالبون بإلغاء حزب البروليتاريا الثوري السري والاستعاضة عنه بحزب انتهازي يقوم بنشاط شرعي في ظل النظام القيصري. إن المجلس العام لحزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي في روسيا الذي انعقد في براغ في كانون الثاني (يناير) 1912، طرد التصفويين من الحزب، ص 8.

7- **"دي انترناسيونالة"** (Die Internationale)، "الأممية"، مجلة أسستها روزا لوكمسبورغ وفرانز مهرينغ. لم

يصدر منها إلا عدد واحد في نيسان (أبريل) 1915. استؤنف إصدارها في عام 1918، بعد ثورة تشرين الثاني (نوفمبر) في ألمانيا، ص9.

8- **الوفاق الثلاثي أو التحالف الثلاثي** (الأنتانت، Entente)، كتلة إمبريالية من بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية تألفت في عام 1907 كمقابل للحلف الثلاثي الإمبريالي المشكل من ألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا، ص 9.

9- **الستروفية**، تشويه برجوازي ليبرالي للماركسية، اسمي باسم الممثل الرئيسي "للماركسية الشرعية" في روسيا بيوتر ستروفه، ص 12.

10- **"Die Neue Zeit"** ("دي نويه زايت" "الأزمنة الحديثة")، مجلة نظرية للحزب الاشتراكي-الديمقراطي الألماني، صدرت في شتوتغارت من عام 1883 إلى 1923، نشرت في مجلة "دي نويه زايت" للمرة الأولى بعض مؤلفات ماركس وانجلس. ساعد انجلس هيئة تحرير المجلة بنصائحه ولم يندر له أن انتقدها لما نشرته المجلة من انحرافات عن الماركسية. ابتداء من النصف الثاني من العقد العاشر، أي بعد وفاة انجلس، أخذت تظهر باستمرار في المجلة مقالات للمحرفين، في سنوات الحرب الإمبريالية العالمية

(1914-1918) وقفت المجلة موقفًا وسطيًا مؤيدة عمليًا الاشتراكيين- الشوفينيين، ص 15.

11- **زوديكوم البرت** (1871-1944)، أحد الزعماء الانتهازيين للاشتراكية الديمقراطية الألمانية، مجرف، ابان الحرب الإمبريالية العالمية (1914-1918)- اشتراكي شوفيني متطرف.أصبحت كلمة "زوديكوم" رمزًا لوصف الانتهازي المتطرف والاشتراكي- الشوفيني المتطرف، ص 15.

12- **"سوسيال- ديموقراط"**، جريدة سرية، لسان الحال المركزي لحزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي في روسيا. صدرت من شباط (فبراير) 1908 إلى كانون الثاني (يناير) 1917. صدر منها 58 عددًا. صدر العدد الأول في روسيا، ثم نقل طبعها إلى الخارج، أولاً في باريس وبعد ذاك في جنيف. ابتداء من كانون الأول (ديسمبر) 1911، اشرف لينين على تحرير "سوسيال- ديموقراط". نشرت الجريدة أكثر من 80 مقالة وملاحظة للينين، ص 17.

13- **"غولوس"** ("الصوت")، جريدة يومية منشفية، صدرت في باريس من أيلول (سبتمبر) 1914 إلى كانون الثاني (يناير) 1915، ص 19.

14- **الحلف الثلاثي**، كتلة إمبريالية من ألمانيا والنمسا- المجر وإيطاليا تشكلت في 1879 – 1882، ص 21.

15- **"جيزن"** ("الحياة")، جريدة حزب الاشتراكيين الثوريين، صدرت من آذار (مارس) 1915 إلى كانون الثاني (يناير) 1916، أولاً في باريس ثم في جنيف، ص 24.

16- **"أيكونوميست"** ("الاقتصادي"، "The Economist")، مجلة أسبوعية إنجليزية في قضايا الاقتصاد والسياسة. لسان حال البرجوازية الصناعية الكبيرة. تصدر في لندن منذ 1843، ص 33.

17- **الرجل المعلب**، بطل قصة بالاسم نفسه للكاتب الروسي انطون تشيخوف. نموذج التافه الضيق الأفق الخائف من كل تجديد وكل مبادرة، ص 34.

18- هذه الحكمة للشاعر الألماني غوته، ص 40.

19- المقصود ببيان القيصر، قانون حول تأسيس دوما الدولة ونظام الانتخابات إليه نشرا في 6 (19) آب (أغسطس) 1905. أُسمِيَّ (الدوما) بوليغين نسبة إلى وزير الداخلية بوليغين الذي عهد إليه القيصر بوضع مشروع الدوما.

بموجب مشروع قانون بوليغين، لم تحصل أغلبية السكان على الحقوق الانتخابية، وكان ينبغي أن يتسم دوما الدولة بطابع استشاري فقط. ولكن دوما بوليغين لم ينعقد، فقد كنسه نهوض الثورة، ص 42.

20- **الحركة السلاقية**، تيار سياسي رجعي كان يقصد توحيد جميع البلدان السلاقية تحت زعامة روسيا القيصرية ويحاول لهذا الغرض استغلال نضال السلاف من أجل التحرر من النير التركي والنير النمساوي- المجري، ص 44.

21- **المؤتمر في برن**، هو الاجتماع الذي عقدته في برن فروع حزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي في روسيا في الخارج، من 27 شباط (فبراير) إلى 4 آذار (مارس) 1915. فقد انعقد هذا الاجتماع بناء على مبادرة من لينين وكان بمثابة مجلس عام يلتقي فيه كل منظمات روسيا. وكان الاجتماع يضم مندوبين عن الفروع البلشفية في باريس وزيورخ وجنيف وبرن ولوزان وفرقة "بوجي". ومثل لينين اللجنة المركزية وجريدة الحزب المركزية ("سوسيال- ديموقراط")، وأدار الاجتماع وقدم تقريرًا حول المسألة الرئيسية في جدول الأعمال: "الحرب ومهمات الحرب". وقد وافق

الاجتماع على القرارات التي اقترحها لينين حول الحرب، ص 46.

22- **الجوريسيون**، أنصار الاشتراكي الفرنسي جوريس، حرفوا الموضوعات الأساسية في الماركسية ونادوا بالتعاون الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية. في عام 1902، شكل الجوريسيون الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي وقف مواقف إصلاحية. في عام 1905 اتحد هذا الحزب مع الحزب الاشتراكي في فرنسا برئاسة غيد في حزب واحد هو الحزب الاشتراكي الفرنسي.

إبان الحرب العالمية (1914-1918) كان الجوريسيون هم المهيمنين في قيادة الحزب الاشتراكي الفرنسي وقد دعموا الحرب الإمبريالية على المكشوف ووقفوا موقف الاشتراكية-الشوفينية، ص 52.

23- المناشفة، أنصار التيار البرجوازي الصغير الانتهازي في الاشتراكية- الديمقراطية الروسية، ودعاة التأثير البرجوزي في صفوف الطبقة العاملة. وقد أطلق عليهم هذا الاسم في المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي في روسيا المنعقد في آب (أغسطس) 1903،إذ وجدوا أنفسهم أقلية في نهاية المؤشر عند انتخابات الهيئات المركزية

للحزب، في حين أن الاشتراكيين- الديمقراطيين الثوريين وعلى رأسهم لينين، فازوا بالأغلبية. ومن هنا كان اسم البلاشفة (من كلمة بلشنستفو وتعني الأغلبية) والمناشفة (من كلمة منشنستفو وتعني الأقلية).

خلال الحرب العالمية الأولى، وقف المناشفة مواقف الاشتراكية- الشوفينية شأنهم شأن جميع الأحزاب الانتهازية للأممية الثانية. وبعد الثورة البرجوازية الديمقراطية في شباط (فبراير) 1917، اشترك المناشفة في الحكومة المؤقتة البرجوازية داعمين سياستها الإمبريالية. بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في عام 1917، اشترك المناشفة في النضال المسلح الذي شنه أعداء الثورة البرجوازيون والإقطاعيون ضد الشعب السوفيتي، ص 52.

24- نزغة غيد، الغيديون، تيار ماركسي ثوري في الحركة الاشتراكية الفرنسية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، برئاسة غيد، في عام 1901، شكل أنصار النضال الطبقي الثوري برئاسة غيد الحزب الاشتراكي الفرنسي. في عام 1905 اتحد الغيديون مع الحزب الاشتراكي الفرنسي الإصلاحي. شغل الغيديون موقفًا وسطيًا داخل الحزب الاشتراكي الفرنسي إبان الحرب الإمبريالية

العالمية وقفوا إلى جانب الاشتراكية- الشوفينية. اشترك غيد وسامبا في الحكومة الفرنسية الإمبريالية، ص 52.

25- **"سوسياليسم"** ("Le Socialisme"، "الاشتراكية")، مجلة صدرت من 1907 إلى حزيران (يونيو) 1914 في باريس، أصدرها وأشرف عليها الاشتراكي الفرنسي غيد، ص 52.

26- **الميليرانية**، تيار انتهازي اسمي باسم الاشتراكي الفرنسي ميليران الذي اشترك عام 1899، في الحكومة الفرنسية البرجوازية الرجعية وساعد البرجوازية على انتهاج سياستها.

27- **البرنشتينية**، تيار انتهازي معاد للماركسية في الاشتراكية- الديمقراطية العالمية،شرع برنشتين يحرف تعاليم ماركس الثورية بروح الليبرالية البرجوازية، ص 52.

28- "Vorwarts"، ("فورفارتس"، "إلى الأمام") جريدة يومية، لسان حال الحزب الاشتراكي- الديمقراطي الألماني،صدرت في برلين ابتداء من سنة 1891 بناء على قرار مؤتمر الحزب في هاله، بوصفها استمرارًا لجريدة Berliner Volksblatt"" ("برلينر فولكسبلات"، "جريدة برلين الشعبية") التي صدرت ابتداء من عام 1884 وباسم

"Vorwarts. Berliner Volksblatt". وقد ناضل أنجلس على صفحات الجريدة ضد كل مظهر من مظاهر الانتهازية. ومنذ النصف الثاني من التسعينيات، بعد وفاة أنجلس، وقع تحرير جريدة "Vorwarts" في أيدي الجناح اليميني في الحزب فأخذت تنشر بصورة منتظمة مقالات الانتهازيين. وفي سنوات الحرب الإمبريالية العالمية (1914-1918) وقفت 'Vorwarts" مواقف الاشتراكية- الشوفينية، وبعد ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى قامت بالدعاية المعادية للسوفيت. ظلت تصدر في برلين حتى عام 1933، ص 50.

29- المقصود كتاب A. Sartorius von Waltershausen. Das Volkswirtschaftliche System der Kapitalanlage im Auslande. Berlin, 1907. (سارتوريوس فون فالترسهاوزن. "نظام الاقتصاد الوطني لتوظيف الرأسمال في الخارج". برلين، 1907)، ص 58.

30- المقصود كتاب رودورفر "Grundzuge der Weltpolitik inder (Riezler, K.) ("السمات الأساسية للسياسة العالمية المعاصرة") صدر الكتاب في برلين عام 1913، ص 58.

31- **"المجلة الاشتراكية الشهرية"** ("Sozialistische Monatshefte" "سوسياليستيشه موناتسخيفته")، مجلة الانتهازيين الألمان الرئيسية وإحدى صحف التحريفية العالمية. كانت تصدر في برلين من سنة 1897 حتى 1933. وقفت في سنوات الحرب الإمبريالية العالمية (1914- 1918) موقف الاشتراكية- الشوفينية، ص 60.

32- **الحزب الاشتراكي البريطاني**، تأسس عام 1911 في منشستر، إثر اندماج الحزب الاشتراكي- الديمقراطي مع كتل اشتراكية أخرى. وقد قام الحزب الاشتراكي البريطاني بدعاوته بروح الأفكار الماركسية و"لم يكن حزبًا انتهازيًا، بل مستقلاً فعلاً عن الليبراليين" (لينين). ولكن نظرًا لقلة أعضائه وضعف صلاته مع الجماهير، اتسم بطابع انعزالي بعض الشيء.

في مرحلة الحرب الإمبريالية العالمية (1914-1918)، احتدم النضال ضاريًا في قلب الحزب بين التيار الأممي (غالاخير، أينكبن، ماكلن، روتشتين، وغيرهم) والتيار الاشتراكي الشوفيني وعلى رأسه هايندمان. وفي قلب التيار الأممي، كانت هناك عناصر مترددة تقف في بعض المسائل

مواقف وسطية. وفي شباط (فبراير) 1916، أسس فريق من أعضاء الحزب الاشتراكي البريطاني صحيفة "The Call" (النداء) التي اضطلعت بدور هام في تقوية لحمة الأممين. وقد شجب المجلس العام السنوي للحزب الاشتراكي البريطاني، الذي انعقد في نيسان (أبريل) 1916 في سولفورد، الموقف الاشتراكي- الشوفيني الذي وقفه هايندمان وأنصاره، فانفصل هؤلاء عن الحزب.

وقد حيا الحزب الاشتراكي البريطاني ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وقام أعضاؤه بدور كبير في حركة الشغيلة البريطانيين دفاعًا عن روسيا السوفيتية ضد التدخل الأجنبي. وفي 1919، وافقت أغلبية منظمات الحزب المحلية (98 ضد 4) على الانضمام إلى الأممية الشيوعية.

وقد اضطلع الحزب الاشتراكي البريطاني مع كتلة الوحدة الشيوعية بالدور الرئيسي في تأليف الحزب الشيوعي البريطاني. وفي المؤتمر التوحيدي الأول الذي انعقد عام 1920، انضمت الأغلبية الساحقة من منظمات الحزب الاشتراكي البريطاني المحلية إلى الحزب الشيوعي البريطاني، ص 60.

33- حزب العمال (Labour Party) تأسس عام 1900 باندماج النقابات- التريديونيونات والكتل الاشتراكية، بغية تمثيل العمال في البرلمان ("لجنة تمثيل العمال"). ثم غيرت هذه اللجنة اسمها واتخذت عام 1906 اسم حزب العمال. وهذا الحزب الذي تكون في البدء كحزب عمالي من حيث تركيبه (وقد انضم إليه فيما بعد كثير من العناصر البرجوازية الصغيرة) هو، من حيث أيديولوجيته وتكتيكه، منظمة انتهازية. منذ تأسيس هذا الحزب، انتهج زعماؤه سياسة التعاون الطبقي مع البرجوازية. وأثناء الحرب الإمبريالية العالمية (1914-1918)، وقف الزعماء العماليون موقفًا اشتراكيًا- شوفينيًا.

وغير مرة ألف زعماء حزب العمال حكومات انتهجت دائمًا سياسة الإمبريالية الإنجليزية، ص 61.

34- **الفابيون**، هم أعضاء الجمعية الفابية، وهي منظمة إصلاحية إنجليزية تأسست سنة 1884، وقد أطلق عليها اسم قائد من القادة العسكريين الرومانيين في القرن الثالث قبل الميلاد هو فابيوس مكسيم الملقب كونكتاتور ("المماطل") الذي اشتهر بخطة الانتظار وتجنب المعارك الفاصلة في الحرب ضد هنيعل. كان أعضاء الجمعية الفابية

ينكرون ضرورة نضال البروليتاريا الطبقي والثورة الاشتراكية ويعلنون إمكان الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية عن طريق الإصلاحات الطفيفة فقط والتحويلات التدريجية في المجتمع، وصف لينين الفابية بأنها "اتجاه الانتهازية المتطرفة"، وفي سنة 1900، انضمت الجمعية الفابية إلى حزب العمال. و"الاشتراكية الفابية" هي ينبوع من ينابيع عقلية العماليين البريطانيين.

في سنوات الحرب الإمبريالية العالمية (1914-1918)، وقف الفابيون موقفًا اشتراكيًا- شوفينيًا، ص 61.

35- حزب العمال المستقل البريطاني

("Independent Labour Party") منظمة إصلاحية تأسست في عام 1893 في ظروف نهوض النضال الإضرابي واشتداد الحركة من أجل استقلال الطبقة العاملة الإنجليزية عن الأحزاب البرجوازية. وكان على رأس الحزب كير غاردي. وقف حزب العمال المستقل منذ تأسيسه مواقف برجوازية إصلاحية وأعار اهتمامه الأساسي إلى النضال البرلماني والصفقات البرلمانية مع حزب الأحرار (أو الحزب الليبرالي). وصف لينين حزب العمال المستقل قائلاً: إن هذا الحزب

"كان في الحقيقة حزبًا انتهازيًا في حالة تبعية دائمة للبرجوازية".

بعد بداية الحرب العالمية الأولى، وجه حزب العمال المستقل بيانًا ضد الحرب ولكنه سرعان ما وقف مواقف اشتراكية-شوفينية، ص 61.

36- **"Daily Herald"** ("دايلي هيرالد"، "البشير اليومي")، لسان حال الحزب الاشتراكي البريطاني. صدرت في لندن ابتداء من نيسان (أبريل) عام 912. ابتداء من 1922 أصبحت لسان حال حزب العمال. ص 61.

37- "Daily Citizen" ("دايلي سيتزن"، "المواطن اليومي")، جريدة يومية لسان حال الكتلة الانتهازية التي ألفها حزب العمال والفابيون وحزب العمال المستقل البريطاني. صدرت في لندن ومنشتسر من 1912 إلى 1915، ص61.

38- **"ناشا زاريا"** ("فجرنا")، مجلة شيوعية شهرية للمناشفة التصفويين. في سنوات 1910-1914، في بطرسبورغ، وحول "ناشا زاريا" تشكل مركز التصوفيين في روسيا، ص61.

39- **البرافدية**، أسميت باسم الجريدة البلشفية "البرافدا".

"البرافدا" ("الحقيقة")، جريدة يومية بلشفية علنية. صدر العدد الأول منها في بطرسبورغ في 22 نيسان (أبريل) (5 آيار (مايو)) عام 1912.

كانت "البرافدا" جريدة عمالية جماهيرية تصدر بفضل التبرعات التي يجمعها العمال أنفسهم. وكان يصدر من "البرافدا" يوميًا 40000 نسخة مصورة وسطية، وبلغ عدد نسخ بعض الأعداد 60000 نسخة. وصف لينين إصدار الجريدة العمالية اليومية بأنه مهمة تاريخية عظمى قام بها عمال بطرسبورغ.

كان لينين يقوم بإدارة "البرافدا" الفكرية ويكتب فيها المقالات كل يوم تقريبًا، ويمد هيئة التحرير بالإرشادات ويطالب بأن تصدر الجريدة في روح كفاحي ثوري.

قام الحزب بعمله التنظيمي، في معظمه، عن طريق هيئة تحرير "البرافدا"

وقد كانت "البرافدا" على الدوام عرضة للملاحقات والاضطهادات البوليسية. منعت الحكومة القيصرية الجريدة 8 مرات، ولكنها كانت تستأنف الصدور كل مرة تحت اسم

جديد. في 8 (21) تموز (يوليو) 1914، عشية الحرب العالمية منعت الجريدة.

لم تستأنف "البرافدا" صدورها إلا بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديمقراطية عام 1917. فابتداء من 5 (18) آذار (مارس) 1917، شرعت "البرافدا" تصدر بوصفها لسان لحال المركزي لحزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي في روسيا. ومن تموز (يوليو) إلى تشرين الأول (أكتوبر) 1917. اضطرت "البرافدا"، بسبب من ملاحقات الحكومة المؤقتة البرجوازية المعادية للثورة، إلى تغيير اسمها عدة مرات، فصدرت تحت اسم "ليستوك برافدي" ("ورقة "البرافدا")، "بروليتاري" ("البروليتاري")، "رابوتشي" ("العامل"). "رابوتشي بوت" ("طريق العمال"). بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وابتداء من 27 تشرين الأول (أكتوبر) (9 نوفمبر) (تشرين الثاني)) 1917 استعادت الجريدة اسمها السابق -"البرافدا"- ص 61.

40- المقصود هنا المجلس العام السادس (مجلس براغ) لعامة روسيا لحزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي في روسيا الذي انعقد من 5 إلى 17 (18-30) كانون الثاني (يناير) 1912 في براغ والذي اضطلع عمليًا بدور مؤتمر للحزب.

قاد لينين مجلس براغ لحزب لعمال الاشتراكي-الديمقراطي في روسيا بدور بارز في بناء حزب البلاشفة، في بناء حزب من طراز جديد، وفي تعزيز وحدته. واستخلص رصيد مرحلة كاملة من نضال البلاشفة ضد المناشفة، وبعد طرد المناشفة-التصفويين من الحزب وطد انتصار البلاشفة. رسم المجلس العام تكتيك الحزب ونهجه السياسي في ظروف النهوض الثوري الجديد.

كانت لمجلس براغ أهمية كبيرة عالمية. فقد ضرب للعناصر الثورية في أحزاب الأممية الثانية مثالاً نموذجيًا على النضال احازم ضد الانتهازية بالسير بهذا النضال حتى القطيعة التنظيمية التامة مع الانتهازيين، ص 61.

41- **"التيسنياك"**، تيار ثوري في الحزب الاشتراكي-الديمقراطي البلغاري، اسس عام 1903، حزبًا مستقلاً هو حزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي البلغاري. كان بلاغوييف مؤسس "التيسنياك" وزعيمهم ثم خلفه في رئاسة "التيسَنياك" تلامذته ديمتروف وكولاروف وغيرهما. في 1914-1918 وقف "التيسنياك" ضد الحرب الإمبريالية. وفي 1919، انضموا إلى الأممية الشيوعية وأسسوا الحزب الشيوعي البلغاري، ص 62.

42- **نوفر فريميه** ("الأزمنة الحديثة")، مجلة، لسان الحال العلمي والنظري للجناح الثوري في الاشتراكية- الديمقراطية البلغارية ("تيسنياك")؛ أسسها بلاغوييف في 1897، ابتداء من 1903، غدت المجلة لسان حال حزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي البلغاري ("تيسنياك")؛ صدرت حتى شباط (فبراير) 1916. ثم استأنفت المجلة صدورها في 1919. في 1923 أغلقتها الحكومة الرجعية البلغارية. ابتداء من 1947، غدت "نوفو فريميه" لسان الحال النظري الشهري للجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري، ص 62.

43- **"حق الشعب"** ("Volksrecht")، "فولكسريخت")، جريدة يومية، سان حال الحزب الاشتراكي- الديمقراطي السويسري. تصدر في زيورخ منذ عام 1898 إلى الوقت الحاضر. في سنوات الحرب الإمبريالية العالمية (1914-1918) نشرت الجريدة مقالات الاشتراكيين- الديمقراطيين اليساريين، ص62.

44- "Berner Tagwacht""برنر تاغفاخت"، "حارس برن")، جريدة لسان حال الحزب الاشتراكي- الديمقراطي السويسري، تصدر ابتداء من 1893 في برن.

في 1909-1918 كان غريم محور الجريدة. في بداية الحرب الإمبريالية العالمية نشرت الجريدة مقالات لكارل ليبكنخت ومهرينيغ وغيرهما من الاشتراكيين- الديمقراطيين. منذ عام 1917، شرعت الجريدة تؤيد بشكل سافر الاشتراكيين- الشوفينيين. في الوقت الحاضر، تتطابق مواقف الجريدة في المسائل الأساسية المتعلقة بالسياسة الداخلية والخارجية مع مواقف الجريدة البرجوزية، ص 62.

45- L' Humanite "(لومانيته"، الإنسانية")، جريدة يومية أسسها جوريس عام 1904 بوصفها لسان حال الحزب الاشتراكي الفرنسي. في سنوات الحرب الإمبريالية العالمية (1914-1918)، كانت الجريدة في يد الجناح اليميني المتطرف من الحزب الاشتراكي الفرنسي وشغلت موقفًا اشتراكيًا- شوفينيًا.

بعد فترة وجيزة من انقسام الحزب الاشتراكي في مؤتمر تور (كانون الأول- ديسمبر- 1920) وتأسس الحزب الشيوعي الفرنسي، صارت الجريدة لسان حاله. تصدر في باريس في الوقت الحاضر بوصفها اللسان المركزي للحزب الشيوعي الفرنسي، ص63.

46- **هيروسترات**، من سكان مدينة أفسس القديمة في أسيا الصغرى. تقول الأسطورة أنه أحرق في عام 356 قبل الميلاد هيكل ديانا (ارتيميد) الأفسسية التي كان يعتبر من "عجائب الدنيا السبع"، وذلك من أجل تخليد اسمه وحسب، ويطلقون اسم هيروسترات على محبي ذواتهم ممن يسعون إلى الشهرة بأي ثمن كان، حتى باقتراف الجرائم، ص 63.

47- **كتلة بروكسل** (كتلة "3 تموز")، تألفت أثناء الاجتماع "التوحيدي" الذي انعقد في بروكسل من 16 إلى 18 تموز (يوليو) 1914 بناء على دعوة من اللجنة التنفيذية للمكتب الاشتراكي العالمي بغية "تبادل وجهات النظر" حول إمكان إعادة وحدة حزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي في روسيا. وقد تمثل في هذا الاجتماع: اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي في روسيا (البلاشفة)، اللجنة التنظيمية (المناشفة)، فرقة "ايدينستفو" بقيادة بليخانوف، فرقة "فبربود"؛ البوند، الاشتراكية- الديمقراطية في الإقليم اللاتفي؛ الاشتراكية- الديمقراطية في ليتوانيا؛ الاشتراكيون- الديمقراطيون البولونيون؛ المعارضة الاشتراكية- الديمقراطية البولونية، الحزب الاشتراكي البولوني

("الجناح اليساري") قبل الاجتماع بزمن طويل، تفاهم قادة المكتب الاشتراكي العالمي سرًا مع التصوفيين بشأن الأعمال المشتركة ضد البلاشفة ومع أنه كان على الاجتماع أن يكتفي بتبادل الآراء وأن يمتنع عن اتخاذ أية قرارات إلزامية، إلا أن مشروع قرار كاوتسكي حول توحيد حزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي في روسيا طرح على التصويت، فرفض البلاشفة والاشتراكيين- الديمقراطيون اللاتفيون التصويت على هذا المشروع، ولكنه نال الموافقة مع ذلك بأغلبية الأصوات. ورفض البلاشفة وعلى رأسهم لينين الخضوع لقرارات اجتماع بروكسل وفضحوا أمام البروليتاريا العالمية الأغراض الحقيقية "لدعاة التوحيد"، ص 64.

48- المقصود هنا النداء الذي كتبه كارل ليبكنخت "Der Hauptfiend steht in eigenem Land!" ("العدو الرئيسي في بلدنا بالذات!"). صدر في جريدة "برنر تاغفاخت" Berner Tagwacht" ("حارس برن")، العدد 123، بتاريخ 31 آيار (مايو) 1915 تحت عنوان "Ein Kraftiger Mahnruf"، ص 66.

49- **"الحولية البروسية"** ("Preubische Jahrbueher")، مجلة شهرية محافظة ألمانية حول مسائل

السياسة والتاريخ والأدب، صدرت في برلين من 1858 إلى 1935، ص66.

50- **القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين**، استن في ألمانيا من قبل حكومة بيسمارك في سنة 1878 بقصد مكافحة الحركة العمالية والاشتراكية، بموجب هذا القانون منعت جميع منظمات الحزب الاشتراكي- الديمقراطي ومنظمات العمال الجماهيرية وصحافة العمال، وصودرت المطبوعات الاشتراكية وتعرض الاشتراكيون- الديمقراطيون للملاحقات والنفي. في سنة 1890، ألغي القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين تحت ضغط حركة العمال الجماهيرية المتعاظمة، ص 71.

51- المقصود هنا المحاكمة القيصرية للكتلة البلشفية في دوما الدولة الرابع. وقد جرت هذه المحاكمة في 10 (23) شباط (فبراير) 1915. فقد اعتقلوا النواب البلاشفة في دوما الدولة الرابع بادايف وموراتوف وبتروفسكي وساموبيلوف وشاغوف في تشرين الثاني (نوفمبر) 1914 بتهمة "الخيانة الوطنية". ارتكز الاتهام الموجه ضد النواب البلاشفة على ما صودر منهم أثناء الاعتقال أي موضوعات لينين "مهام الاشتراكية- الديمقراطية الثورية في الحرب

الأوروبية" وبيان اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي- الديمقراطي في روسيا "الحرب والاشتراكية- الديمقراطية الروسية". حكم على جميع النواب البلاشفة بنزع الحقوق منهم وبالنفي إلى سيبريا الشرقية، ص 77.

52- **الغابونية**، نسبة إلى الكاهن غابون. عشية الثورة الروسية الأولى، أنشأ غابون، بناء على تكليف من الأوخرانكا (البوليس القيصري السري) منظمة من طراز منظمات زوياتوف اسمها "الجمعية الروسية لعمال المعامل والمصانع"، بغية صرف العمال عن النضال الثوري. في 9 (22) كانون الثاني (يناير) 1905، دفع غايون العمال إلى السير بمظاهرة إلى "قصر الشتاء" لأجل تقديم عريضة للقيصر. بناء على أوامر القيصر، أطلقت النار على المتظاهرين. ولكن النار قتلت في الوقت نفسه إيمان العمال المتأخرين الساذج بالقيصر. كانت أحداث 9 كانون الثاني بداية الثورة الروسية الأولى وحافزًا لاستيقاظ الجماهير البروليتارية في روسيا سياسيًا. فتدفقت في عموم البلاد موجة من إضرابات الاحتجاج، ص 80.

53- **"الاقتصادية"**، تيار انتهازي نشأ في الاشتراكية- الديمقراطية الروسية في أواخر القرن التاسع عشر- أوائل القرن

العشرين، ومظهر روسي من مظاهر الانتهازية العالمية، لقد حصر "الاقتصاديون" مهام الطبقة العاملة في النضال الاقتصادي من أجل رفع الأجور وتحسين ظروف العمل الخ... مؤكدين أن النضال السياسي من شأن البرجوازية الليبرالية. وأنكر "الاقتصاديون" دور حزب الطبقة العاملة القيادي. و"الاقتصاديون" بسبب من تقديسهم لعفوية الحركة العمالية، قد غضوا من شأن النظرية الثورية وأنكروا ضرورة قيام الحزب الماركسي ببث ا لإدراك الاشتراكي في الحركة العمالية وبذلك مهدوا الطريق أمام الأيديولوجية البرجوازية ودافع "الاقتصاديون" عن التشتت والروح الحرفية في الحركة الاشتراكية- الديمقراطية منكرين ضرورة تأسيس الطبقة العاملة لحزب متمركز، ص81.

54- **"رابوتشايا ميسل"** ("الفكر العمالي")، جريدة نطقت بلسان "الاقتصاديين" وصدرت في روسيا من تشرين الأول (أكتوبر) سنة 1897 إلى كانون الأول (ديسمبر) سنة 1902، ص81.

55- **"رابونشيه ديلو"** ("قضية العمال")، مجلة نطقت بلسان "اتحاد الاشتراكيين- الديمقراطيين الروس في الخارج"، وقد صدرت في جنيف من نيسان (أبريل) سنة 1899 حتى

شباط (فبراير) سنة 1902 كانت هيئة تحرير "رابوتشييه ديلو" مركز "الاقتصاديين" في الخارج. أيدت "رابوتشييه ديلو" الشعار البرنشتيني القائل: "حرية انتقاد" الماركسية ووقفت مواقف انتهازية في القضايا المتعلقة بتكتيك الاشتراكية-الديمقراطية الروسية ومهماتها التنظيمية، ص 81.

صدر من هذه الكراسات

1	البيان الشيوعي	ماركس - إنجلز
2	الدولة والثورة	لينين
3	في التناقض	ماوتسي تونغ
4	حول المسألة اليهودية	ماركس
5	إصلاح اجتماعي أم ثورة	روزا لوكسمبورغ
6	لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية	إنجلز
7	الأجور والأسعار والأرباح	ماركس
8	الثامن عشر من برومير "لويس بونابرت"	ماركس
9	إفلاس الأممية الثانية	لينين
10	لينين أو آنية الثورة	لوكاتش

كراسات ماركسية

من أجل وعي حقيقي بالماركسية نحاول في هذه السلسلة أن نقدم عددًا من الكراسات التي تلقي الضوء على أهم المفهومات التي جاء بها ماركس وإنجلز وعديد من الماركسيين، لكي تشكل معرفة تاسيسية يمكن أن يُبنى عليها. وإذا كانت المعرفة هي المدخل لتمثل أي فكر، فإننا نهدف هنا إلى تقديم هذا المدخل الضروري والمهم، لكن في سياق وعي بان الماركسية هي أكثر من معرفة، لأنها بالأساس منطق تفكير، هو الجدل المادي. والهدف هنا هو اكتساب هذا المنطق من أجل أن يصبح طريقة تفكير الماركسيين، وأداتهم في وعي الواقع الذي يعيشونه، وفي تغييره. الماركسية علم لهذا يجب أن تدرس كعلم، أي أن تدرس بجدية فائقة. والماركسي هو من تبنى الماركسية. لكن بعد أن يكون قد عرف أفكارها وفهمها واكتسب منهجيتها، الجدل المادي. لهذا يجب الاطلاع على هذه الأفكار ودراستها من أجل ذلك.

رؤى للنشر والتوزيع